

مدبولى الصغير

نهاية أمة الإسلام
بين النبوءة والسياسة



نهاية أمة الإسلام
بين النبوءة والسياسة

●●

المؤلف

د. أحمد حجازى السقا

●●

الناشر

مدبولى الصغير

٤٥ شارع البطل أحمد عبدالعزيز. المهندسين

تليفون: ٣٤٤٢٢٥٠

●●

الجمع والتنفيذ الفنى

عفت إبراهيم

●●

المشــرف العــام

عاطف منصور

●●

رقم الإيداع: ٢٠٠٩٧/٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 977-286-168-2



د. أحمد حجازي السقا

نهاية أمة الإسلام

بين النبوة والسياسة



الناشر
مدبولي الصغير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ





المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن فى التوراة نبوءات كثيرة عن محمد ﷺ ومنها نبوءات فى سفر النبى دانيال تبين زمن ظهوره بالسنين، وأنه إذا ما ظهر فإنه سيحارب المملكة الرومانية وسيزيلها من الوجود. وسيملك هو على البلاد التى كانت تملك عليها. كفلسطين وسوريا ولبنان والأردن ومصر والعراق وتركيا وإيران. وقال النبى دانيال: إن مملكة هذا النبى ستبقى إلى الأبد.

فلما ظهر محمد ﷺ فى السنة التى أنبأ دانيال عن ظهوره فيها، ونزل عليه القرآن الكريم: شرع فى محاربة المملكة الرومانية فى الأردن وفلسطين، وأوصى أصحابه إذا هو مات: أن يواصلوا حربها حتى يظهر دين الله على الدين كله، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا. وقد عملوا بوصيته وواصلوا الحرب، وانتصروا.

وقد جاء فى سورة الروم عن هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئين والمسيحيين كافة يعرفون أن محمدا نبى مرسل من الله من نبوءات عندهم تدل عليه، ومنها نبوءة تأسيس ملكوته عقب زوال المملكة الرومانية. أما المسلمون. فإن المسلمين الساكنين بين أهل الكتاب فى البلاد المنفصلة عن بلاد المسلمين العرب. كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا على علم بنبوءات التوراة والإنجيل يقرب من علم أهل الكتاب بها، ويجذبون بها أعدادا كثيرة من المسيحيين إلى الإسلام بمنتهى السهولة. إذ يقول المسلم للمسيحى: تعرف شيئاً عن المملكة الرومانية؟ ومن المؤكد أنه يعرف؛ لأن المسيح عيسى عليه السلام ولد فى بدئها. ورفع إلى الله وهى جاثمة على صدور اليهود فى فلسطين. فيجيب المسيحى: أعرف. فيقول له المسلم: من الذى حاربها وأسس له ملكا على أنقاضها؟ فيجيب بقوله: محمد نبى المسلمين. فيسأله المسلم: هل هو صادق فى دعوى النبوة؟ فيقول المسيحى: طبقا لكلام النبى دانيال يكون هو النبى المنتظر، ويكون صادقاً فى دعوى النبوة.

وبذلك دخل فى دين الإسلام كثيرون من مسيحيى الغرب.

وعندئذ فزع اليهود والمسيحيون، وفكروا فى حيلة يمنعون بها المسيحيين عن الدخول فى دين الإسلام. واهتدوا إلى هذه الحيلة. وهى: أنهم يبحثون عن الحدود الأولى للمملكة الرومانية، ويجعلون البلاد التى فى داخل الحدود؛ ولايات. ويكون لجميع هذه البلاد جيش موحد، وعملة نقدية موحدة، ورئيس واحد. ونظم اجتماعية موحدة، ولغة واحدة يتكلم بها جميع السكان، وجواز سفر موحد ونظام قضائى واحد، وحكومة تنفيذية. وما شابه ذلك.

وقد بحثوا عن الحدود الأولى. وجعلوا لها عملة نقدية موحدة هى «اليورو» وجعلوا لها اسما ظاهرا واسما باطناً. أما الاسم الظاهر فهو الاتحاد الأوروبى، أو السوق الأوروبية المشتركة، وأما الاسم الباطن فهو المملكة الرومانية. وغرضهم من ذلك: أنه إذا تكلم مسلم مع واحد من المسيحيين فى الدين، وسأله: من الذى أزال المملكة الرومانية بالحرب؟ يقول له المسيحى: ماتزال المملكة الرومانية قائمة. وعندئذ يتحير المسلم. وهذا هو غرضهم. لأنه إذا قال له محمد نبى صادق؛ لأنه هو الذى أزالها طبقاً لكلام دانيال: سيرد عليه بقوله: إنها ماتزال قائمة.

وقد غاب عليهم فى أمر هذه المملكة: أن دانيال قد حدد زوالها بسبعين أسبوعا والأسبوع سبع سنوات. فتكون المدة أربعمائة وتسعين سنة. فإذا قال المسلم للمسيحى: إن زوال المملكة الرومانية محدد بهذه المدة، وقد زالت فيها. فإن المسيحى لن يقدر على الرد عليه. وبذلك تكون الجهود التى بذلوها للصد عن سبيل الله قد طارت فى الهواء.

يقول مؤلف كتاب «ثم يأتى المنتهى»:

١ ـ إن العالم شهد فى يناير ١٩٩٩م ميلاد عملة جديدة هى «اليورو» وهذه العملة تؤكد لنا صدق كل كلمة من نبوءة الكتاب المقدس، وتملأ قلوبنا فرحا. إذ نزداد اقتناعا بقرب مجىء الرب.

الـــرد عليــــه:

إنه يريد أن يقول: إن عملة اليورو. هى عملة أوروبا الموحدة. وأوروبا تشبه اليوم فى توحدها المملكة الرومانية القديمة. وحيث إن أوروبا توحدت، فما هى إلا سنوات قليلة حتى يظهر عيسى عليه السلام ليزيلها من الوجود، وليؤسس لنفسه مملكة على أنقاضها. وذلك لأن أوروبا حالّة اليوم فى هذا الزمان محل المملكة الرومانية القديمة. ودانيال النبى قد أنبأ بزوالها على يد «المسيح الرئيس»

هذا هو معنى كلامه. وإذا ما قلنا له: إن «عيسى» عليه السلام لن يأتى إلى الدنيا مرة أخرى فبماذا يجاوب؟ لقد قال المسيح عيسى عليه السلام: «ولست أنا بعد فى العالم» (يوحنا ١٧: ١١).

٢ ـ وقال المؤلف:

إن دانيال أنبأ عن قيام أربع ممالك على أرض فلسطين هى: بابل وفارس واليونان والمملكة الرومانية. وقال: إن المسيح الرئيس هو الذى يزيل المملكة الرومانية.

والـــرد عليــــه:

لم يزل المملكة الرومانية إلا المسلمون أصحاب محمد ﷺ فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه. أما المسيح عيسى عليه السلام فإنه ولد بعد احتلال الروم لفلسطين بثلاث وستين سنة. ورُفع فى المجد بعدما قال: «أعطوا مالقيصر؛ لقيصر. ومالله: لله».

٣ ـ ويقول المؤلف:

هل يرى أهل العالم أن هذه الوحدة هى إحياء للإمبراطورية الرومانية القديمة؟ والاجابة باختصار: هى. نعم هم يرون ذلك.

٤ ـ ويقول المؤلف:

إذ يروى الكتاب المقدس عن إعادة المملكة الرومانية القديمة، وتعود. أفلا يكون هو كتاب الله؟

والــــرد عليــــه:

إنه كان من عند الله. ونبوءات إزالة المملكة الرومانية قد تمت على يد المسلمين. ولن تعود المملكة الرومانية إلى حالتها الأولى؛ لأن دانيال يقول عن مملكة محمد ﷺ : «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر. وتسحق وتُفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد».

●●●

وقد بينت فى كتابنا «هَرَمَجدون ـ حقيقة أم خيال؟» Armageddon.

نبوءات دانيال عن:

١ ـ فساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين. والمرة الأولى فى الأصحاح الثامن. وقد تم علوها فى سنة ١٩٦٧ والمرة الآخرة فى الأصحاح الثانى عشر.

٢ ـ الممالك الأربعة وهى بابل وفارس واليونان والرومان. فى الأصحاح الثانى والسابع. وبينت أن الرومان هى الأمة المعدودة التى يظهر محمد ﷺ فى آخرها ويزيلها ويعذب الله اليهود الكافرين به على يديه فى وقت إزالته لها. كما قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

٣ ـ زوال الملك والنبوة من اليهود على يد النبى المنتظر فى الأصحاح التاسع. وذكرت من نبوءات الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام نبوءات تدل على محمد ﷺ.

ومما سأبينه فى هذا الكتاب:

١ ـ علاقة المملكة الرومانية بالممالك التى كانت قبلها.

٢ ـ فتح المسلمين لفلسطين وطرد الرومان منها.

٣ ـ كلام المسيحيين عن السوق الأوروبية المشتركة، وعلاقتها بالمملكة الرومانية.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

د/ أحمد حجازى السقا

ميت طريف/ دقهلية





التقديم للكتاب

بقلم الدكتور/ خليل أحمد إبراهيم الحاج

جامعة الفاشر بالسودان ـ فرع القاهرة

قال لى مؤلف هذا الكتاب: إننى علمت برأيك عن هَرمَجَدُّون الذى أذعته فى التليفزيون المصرى فى يوم الاثنين ٢٠٠٢/٤/١٥ وقد جئت لأعرف معلومات عن هذا الموضوع، وقدّم إلىّ هذا الكتاب لأقدّم له.

وقد سألته عن نهاية العالَم عند اليهود والنصارى. ما هو المراد منها؟ وأجاب بأن المدة من نزول التوراة إلى ظهور النبى الذى سيأتى خلفا لموسى ﵇ هى المدة المقررة من الله لبنى إسرائيل فى الملك والشريعة. واليوم الذى يظهر فيه هذا النبى: هو نهاية العالم أو نهاية الزمان أو نهاية الدهر. عالم الملك والشريعة فى بنى إسرائيل. وهو بدء العالم أو بدء الزمان أو بدء الدهر للنبى الجديد الذى سيخلف موسى ﵇. وهو نبى الله محمد ﷺ واستحسنت إجابته.

ثم سألته عن يوم الرب. هل هو يوم القيامة؟ فأجاب لا. هو يوم معركة هرمجدون. وسألته هل فى القرآن ما يدل على ذلك؟ وهل علماء أهل الدين الإسلامى كتبوا عن يوم الرب؟ قال: فى القرآن كلام كثير جداً عن يوم الرب، وعلماء أهل الدين الإسلامى لم يوضحوه فى كتب.

وكان هدفى من سؤاله هذه الأسئلة: أن أعلم هل هو فاهم موضوعه أم ناقل؟ ولذلك سُررتُ.

وأنا شخصياً عندى دراية كافية بيوم الرب. يوم معركة هرمجدون Armageddon وكنت أعتقد أنه لا يعرفه أحد غيرى. فاندهشت منه، وطلبت منه ما يحضره من القرآن الكريم فى يوم الرب. فتلا قوله تعالى: ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ وتلا أيضاً: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

ولما فرغ من التلاوة، وسكت؛ وعدتُه أن أقرأ الكتاب، وأقدم له بمشيئة الله تعالى. والكتاب جيد، والمؤلف مجتهد. لا أحد يقول بغير ذلك. وقد تناول فيه إثبات نبوة محمد[1] ﷺ بالاصطلاحات الدالة عليه فى كتب اليهود والنصارى، وفصّل الكلام تفصيلاً عن معركة اليارموك التى هى معركة هرمجدون. وفرق بين حرب فلسطين لليهود منذ السنة ١٩٤٨ وبين هرمجدون. ونقل لنا نحن المسلمين أفكار أهل الكتاب فى المعركتين، وناقش وبين وجادل ودافع.

ونقل عن سيدنا عيسى عليه السلام أن اليهود سيهلكون فى ساعة لا يعلمها إلا الله وحده. وأن الهلاك سيكون على أيدى المسلمين فى الأيام الأولى لنبوة محمد ﷺ ونحن المسلمين نعلم أن اغتصاب اليهود لفلسطين لن يدوم طويلاً؛ ولذلك لا نقلق وعلمُنا: من قوله

---

(١) إثبات النبوة ـ للهارونى الزيدى ـ تحقيق الدكتور خليل أحمد إبراهيم الحاج. طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، ودار التراث العربى بالقاهرة.

تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً﴾ على معنى أن الخطاب للمسلمين فى شخص رسول الله ﷺ وأن الأرض فى الآية هى الأرض فى قوله ﴿لتفسدن فى الأرض مرتين﴾ - ﴿وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ ونعلم: أن اليهود الساكنين فى بلاد الأمم: مخدوعون من الأمريكان ليهاجروا إلى فلسطين بحجة أن هذه هى أيام معركة هرمجدون، وأنهم سينتصرون فيها على المسلمين الذين يسمونهم بالأشرار. وهذه الحجة واهية؛ لأن هرمجدون تمت بحسب أسابيع دانيال فى فتح المسلمين للقدس.

ولم يقصّر المؤلف فى بيان الحق والحقيقة. ونحن الفلسطينيين نعلم أن هذا هو قضاء الله بنا وقدره، وأن من يُقتل منا؛ فإنه شهيد عند الله؛ لأنه يدافع عن دينه وعن أرضه. سواء تقدم لقتال اليهود بالسلاح أو بالحجارة أو بتفجير نفسه. يقول الله عزوجل: ﴿وَالَّذِين آمنوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِين كفروا وكَذَّبوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

والقدس والمسجد الأقصى هما من المقدسات الدينية. والدفاع عنهما واجب على كل مسلم فى العالم على قدر طاقته. مثلهما مثل الكعبة ومكة المكرمة فإنهما من المقدسات الدينية والدفاع عنهما واجب على كل مسلم ونحن نعلم من القرآن الكريم: أن الله سيظهر دينه على الدين كله، وسيكون العالم كله على دين الإسلام. ووعد الله حق وصدق. فجهود اليهود وأنصارهم فى إيذاء المسلمين مثلها مثل زوبعة فى فنجان. ونحن نرى الزوابع والبراكين وحوادث الطرق تقتل كثيرين. ومع ذلك فإن العالم لا يفنى. كذلك قتل اليهود للفلسطينيين؛ نقدره كالزوابع والبراكين والحوادث اليومية. ولن يفنيهم القتل: لأنهم عباد الله وقد وعد الله عباده بالنصر.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يهدى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هو الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يا أيها

الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾.

وقال المؤلف: إنه فى يوم الرب ـ على ما فى التوراة والإنجيل ـ يكون الهلاك لليهود وللأمم الكافرة. وقد أهلك أصحاب النبى ﷺ اليهود والأمم فى فتح «أورشليم» وخداع الأمريكان لليهود المقيمين فى الشتات بالهجرة إلى فلسطين فى هذه الأيام بحجة أن هذه الأيام هى أيام هرمجدون، وأنهم سينتصرون فيها على المسلمين؛ هو خداع لا يخفى على العلماء الدارسين للكتاب المقدس. ففى الكتاب المقدس: أن اليهود يهلكون فى يوم الرب. وسواء أكانت هرمجدون هى فتح المسلمين ـ أولياء الله ـ للقدس أو كانت هى فى هذه الأيام كما يزعمون؛ فإن يوم الرب ليس لصالح اليهود أبداً. يقول النبى إشعياء فى الأصحاح الثانى عن آخر أيام شريعة التوراة فى اليهود:

«ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة».

وليس المراد يوم القيامة. لأنهم سيسيرون إلى الحج فى مكة المكرمة.

وجبل بيت الرب: هو الكعبة. ويهدد اليهود بالهلاك فى آخر الأيام. وهى أيضاً بدء النبوة والملك فى نسل إسماعيل عليه السلام فيقول:

«فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالى المرتفع وعلى كل بلوط باشان وعلى الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة. فيخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده فى ذلك اليوم. وتزول الأوثان بتمامها. ويدخلون فى مغاير الصخور وفى حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. فى ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التى عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش ليدخل فى نقر الصخور

وفى شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه[1]، ليرعب الأرض. كفوا عن الإنسان الذى فى أنفه نسمة. لأنه ماذا يحسب».

فخداع الأمريكان وغيرهم ليهود الشتات بالهجرة إلى فلسطين، ليس له من معنى إلا أنهم يرغبون فى طرد اليهود من بلادهم، ليعذبهم المسلمون بأيديهم. ولئن كان كلامنا غير صحيح فى هذا الخداع؛ فليظهروا لنا كتابا عن يوم الرب العظيم، وليبينوا لنا فيه أنه سيكون لصالح اليهود. يقول المسيح عيسى عليه السلام: «يا أورشليم. يا أورشليم.. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا» (متى ٢٣: ٣٧ - ٣٨) وخرابه يدل على أن اليهود لن تكون لهم فيه مملكة أبداً. وكيف تكون لهم مملكة، وقد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة؟ وقال المسيح عليه السلام: عن «أحمد» ﷺ إنه «بيراكليت»[2] الروح القدس» وقال: إن من يسب «الروح القدس» يكون خالدا فى النار. فهو عليه السلام قد حكم على اليهود بالخلود فى نار جهنم «الحق أقول لكم: إن جميع الخطايا تُغفر لبنى البشر والتجاديف التى يجدفونها. لكن من جدف على الروح القدس؛ فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية» (مرقس ٣: ٢٨ - ٢٩).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

وأكرر ما سبق أن قلته: وهو أن المؤلف مجتهد، والكتاب جيد، وهو سلاح قوى فى الدفاع عن الدين الإسلامى الحنيف.

---

(١) يريد بقيام الله: إظهار النبى المنتظر ومساعدته على هزيمة أعدائه بالملائكة.

(٢) بيراكليت: اسم أحمد. وباراكليت: النائب عن المسيح ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم.

وكانت بعض الدول الإسلامية تعلم عن ساعة هجوم إسرائيل على الأراضى فى سنة ١٩٦٧ ولكن لأن الله قال فى القرآن: ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ كان حالهم كمن يقول: إذا جاء القدر عمى البصر.

يقول الأستاذ صالح مسعود أبو يصير الليبى فى كتابه جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ـ تقديم الرئيس ياسر عرفات. فى صفحة ٥٤٦ طبعة دار البيادر بالقاهرة سنة ١٩٨٨:

«على أن الوقائع أثبتت أن يوم الهجوم الإسرائيلى لم يكن سرا مغلقا على الجميع. فقد أكد الرئيس جمال عبدالناصر أنه أبلغ القواد جميعاً توقع الهجوم الإسرائيلى فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ كما أعلن رئيس وزراء الأردن: أن الملك حسين أبلغ من يهمهم الأمر بهذا التاريخ الذى علمه من مخابراته، وأذاعت وكالة الاسوشيتدبرس فى اليوم الرابع من يونيو (حزيران) أن الرئيس جمال عبدالناصر لا يستبعد إقدام إسرائيل على اتخاذ خطوة متهورة.

ويدفعنا التسجيل التاريخى أن نذكر أن باحثا عسكريا عربيا كتب فى اليوم الثلاثين من شهر مايو (أيار) يقول: «إن إسرائيل أعلنت التعبئة العامة فى اليوم الثالث والعشرين، وسوف تتم التعبئة فى تاريخ الرابع من يونيه (حزيران) وهى حتما ستهاجم الدول العربية فى صباح الخامس من يونيه».

وهذا الباحث العسكرى هو اللواء الركن محمود شيت خطاب، بجريدة العرب ببغداد».

ومما انفرد به المؤلف فى هذا الكتاب: قوله: إن «اليورو» وهو عملة السوق الأوروبية المشتركة سابقاً. الاتحاد الأوروبى الآن. قد ابتدعه المسيحيون كبديل لعملة التداول النقدية فى المملكة الرومانية القديمة. من أجل أن يوهموا العالم بأن المملكة الرومانية قد بُعثت من جديد. وهذه الفكرة قد عملها الأمريكانيون فإنهم تشبهوا بالمملكة الرومانية وأخذوا أسماء نظم الحكم فيها مثل البنتاجون والسناتور... إلخ. وأوهموا العالم أنها دولة الحرية كما كانت روما، وفى الحقيقة هم يريدون أن يحلّوا محل المملكة الرومانية.

والسبب فى ذلك: أن الكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين بينت أن الذى سيزيلها هو المسيح المنتظر الذى هو النبى محمد ﷺ حسب اصطلاحاتهم. وهم يريدون تشكيك العالم فى هذه الحقيقة لئلا يدخلوا فى الدين الإسلامى الحنيف. وكانت المملكة الرومانية تضم ما يعرف الآن باسم هولندا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وجنوبى النمسا وإيطاليا وكل شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والنصف الجنوبى من الجزيرة البريطانية. وكان البحر المتوسط يعتبر بحيرة رومانية.

ويعدّ هذا الكتاب من الكتب المهمة جداً فى علم مقارنة الأديان. وقد سدّ فراغا هائلاً فى مكتبة علم مقارنة الأديان خاصة، وفى الكتب الإنسانية عامة.

وندعو الله تعالى أن يوفق جميع الناس إلى الخير والسلام.

خليل أحمد إبراهيم الحاج

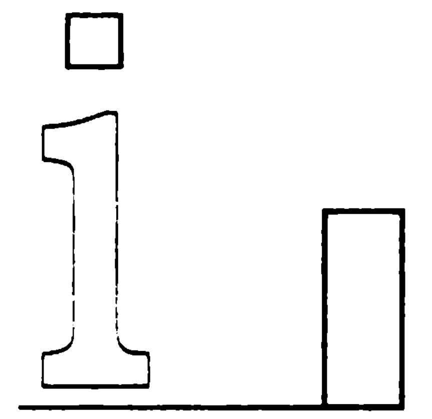
الحى العاشر/ مدينة نصر

القاهرة فى غرة رجب ١٤٢٣هـ - ٨ سبتمبر ٢٠٠٢م



الفصل الأول

فتح فارس والروم





ابتدأت الفتوحات الإسلامية لنشر دين الإسلام، ولإبادة أهل الكتاب الكافرين بمحمد ﷺ فى زمن نبى الله محمد ﷺ فإن فى التوراة مكتوبا عنه: أن من لا يسمع له: يُباد من الشعب. ففى سفر أعمال الرسل: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب» (أع ٣: ٢٢ ـ ٢٣) وقول موسى مكتوب فى سفر التثنية. وهو: «أُقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه: فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم باسمى؛ أنا أُطالبه» (تث ١٨: ١٨ ـ ١٩) واستمرت الفتوحات من بعده.

وفى القرآن الكريم عن هلاك اليهود على يد محمد ﷺ وأصحابه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أى لتنذر اليهود مثل ما أنذرنا آباءهم من قبلك فى كتاب موسى وغيره؛ لأنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير. فهذا هو زمان ﴿حق القول على أكثرهم﴾ والقول: هو أن النبى الأمى الآتى. من أوصافه أن يكلمهم بكل ما يوصيه الله به. أى يوصل إليهم كلام الله أى قوله. ومن لا يسمع لكلامه؛ يهلك. والقول قد جاء. وأن من لا يسمع القول؛ يهلك. وقد هلكوا فى فتح المسلمين لفلسطين وتفرقوا فى الأرض. فيكون المعنى: لقد حق عليهم ما يستتبع نزول القول. وهو الإبادة من الشعب. وهو قد حق عليهم؛ لأنهم لم يسمعوا. وقوله ﴿ما أُنذر﴾ مكون من ١ ـ ما ٢ ـ والفعل أنذر. أى أنذرهم مثلما أنذرنا آباءهم.

وهذا هو بيان موجز عن الفتوحات فى أيام النبى ﷺ والخلفاء الراشدين:

●●

أولا: من أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس

إن فتوح المسلمين فى العصر الراشدى كانت استمراراً لمغازى رسول الله ﷺ، وتنفيذاً لتوجيه منه للخطوات الأولى لمسار حركة التوسع بعده.(١)

وكان اهتمام الرسول متجهاً إلى الشمال بصفة خاصة، لأن مغازى الإسلام كان لابد أن تستمر من بعده حتى يشمل الإسلام الأرض ومن عليها. وعندما ندرس مغازى الرسول على أنها كلٌّ واحد مترابط من البداية إلى النهاية نلاحظ أن اتجاه اهتمام الرسول إلى الشمال بدأ من وقت مبكر، ولكنه اتصل وتوالى بعد معركة الخندق التى أثبتت أن الإسلام أقوى قوة فى الجزيرة، وأن أمة الإسلام أصبحت قوة عسكرية منظمة متماسكة تستطيع أن تجمع جزيرة العرب كلها حول راية الإسلام أولاً، ثم تتجه بكل القوة العربية للفتوح خارجها.

وإليك بيان هذه المغازى المتجهة إلى الشمال. وقد أطلقنا هنا اسم الغزوة على الأعمال العسكرية التى قادها الرسول بنفسه، ومصطلح السرية على تلك التى قادها قادة اختارهم:

١ ـ السرية ١: وهى رقم (٢٨) اتجهت إلى خيبر، وقادها عبدالله بن عتيك للتخلص من أبى الحقيق عدو الإسلام فى المحرم ٥ هـ/ يونيو ٦٢٦م.

٢ ـ غزوة ٢: اتجهت إلى دومة الجندل، وهى رقم (٢٩) لاستطلاع الأحوال هناك، والسبب المباشر للغزوة: عدوان البدو فى منطقة دومة الجندل على التجار، الذين يفدون إلى المدينة بالدقيق والزيت من سوق دومة الجندل ربيع الأول ـ ربيع الثانى ٣ هـ/ أغسطس ـ سبتمبر ٦٢٦م.

---

(١) أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس ـ الزهراء للإعلام العربى سنة ١٩٨٧.

٣ ـ غــزوة ٣: رقم (٣٦) وتسمى غزوة الغابة، ووصلت حتى المسناح قرب خيبر؛ لتتبع عيينة بن حصن وعدد من الأعراب أغاروا على سرح المدينة، وسرقوا لقاحاً، وقتلوا ابن أبى ذر، واستنقذت بعض اللقاح، وقتل حبيب بن عيينة بن حصن. ربيع الثانى ٦ هـ/ أغسطس ٦٢٧م.

٤ ـ سرية ٤: وتسمى سرية الغَمر، قرب بلاد أسد على ليلتين شرقى فيد، ربيع الثانى ٦ هـ/ أغسطس ـ سبتمبر ٦٢٧م.

٥ ـ سرية ٥: تسمى العيص على ليلتين شمال غرب المدينة وعلى ليلة من ذى خشب. وقد هاجمت قافلة لقريش سارت فى طريق التجارة، وكان فيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وقائدها زيد بن أمية، وقادها زيد بن حارثة. جمادى الأولى ٧ هـ/ سبتمبر ـ أكتوبر ٦٢٧م.

٦ ـ سـريـة ٦: سرية حِسْمَى إلى بلاد جذام وقضاعة وبعض غطفان، يقودها زيد بن حارثة لتمهيد الطريق إلى بلاد نصارى العرب فى جمادى الثانية ٦ هـ/ أكتوبر ـ نوفمبر ٦٢٧م.

٧ ـ سرية رقم ٤٤: وجهتها وادى القرى إلى بلاد فزارة من بنى بدر من غطفان، لتأديبهم على الاعتداء على زيد بن حارثة عندما خرج فى تجارة فى رجب ٦ هـ/ نوفمبر ـ ديسمبر ٦٢٧م.

٨ ـ سرية رقم ٤٥: قادها عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل؛ لتأديب نفر من بنى كلب بن وبرة من قضاعة ويغلب أنهم من نصارى العرب فى شعبان ٦ هـ/ ديسمبر ٦٢٧ ـ يناير ٦٢٨م.

٩ ـ سرية فدك رقم ٤٦: قادها على بن أبى طالب إلى منازل بنى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور عند فدك فى شعبان ٦ هـ/ ديسمبر ٦٢٧ ـ يناير ٦٢٨م.

١٠ ـ سرية أم قرفة رقم ٤٧: قادها زيد بن حارثة لتأديب أم قرفة فى وادى القرى، وكانت شديدة العدوان على الإسلام والمسلمين، وقد قتلتها السرية فى رمضان ٦ هـ/ يناير ـ فبراير ٦٢٨م.

١١ - **سرية رقم ٤٩:** قام بها عبدالله بن رواحة إلى خيبر لاستطلاع الأحوال فيها بعد أن تولى رياستها أسير بن زارم بعد مقتل أبى رافع. أقام ثلاثة أيام مستخفياً ثم عاد بما جمع من المعلومات. شوال ٦ هـ/ فبراير - مارس ٦٢٨م.

١٢ - **سرية عبدالله بن رواحة** و٣٠ رجلاً فيهم عبدالله بن أنيس إلى خيبر للتخلص من أسير بن زارم، وعبدالله بن أنيس هو الذى قتله.

١٣ - **غزوة رقم ٥٥:** وهى غزوة الاستيلاء على خيبر ووادى القرى واستسلام فدك. وقد قادها الرسول ﷺ فى صفر أو ربيع الأول ٧ هـ/ يونيو أو يوليو ٦٢٨م، وأرسل فى نفس الوقت محيِّصة بن مسعود إلى فدك فاستسلمت وفى طريق العودة من خيبر فتح وادى القرى عنوة، واستسلمت تيماء، وبذلك تمت السيطرة على شمال الحجاز وأغنى مناطقه.

١٤ - **سـرية الجناب رقم ٦٤:** قادها بشير بن سعد الأنصارى ضد بنى غطفان، وقد حرضهم عيينة بن حصن، وقد فر الغطفانيون فى شوال سنة ٧ هـ/ فبراير ٦٢٩م.

١٥ - **سـرية رقم ٦٨:** وقادها كعب بن عمير الغفارى إلى ذات أطلاح فى البلقاء ببلاد الشام من أرض عرب الروم. وقد قتل معظم المسلمين (وكانوا ١٥ رجلاً) واستطاع واحد منهم العودة إلى المدينة، وأبلغ الرسول ﷺ فى ربيع الأول ٨ هـ/ يونيو ٦٢٩م.

١٦ - **سـرية مؤتة رقم ٧٠:** قادها زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبدالله ابن رواحة ثم خالد بن الوليد إلى مؤتة فى قلب بلاد عرب الروم وجنوبى بلاد غسان. والسبب المباشر: هو قتل شرحبيل بن عمرو الغسانى للحارث بن عمير الأسدى رسول رسول الله إلى حاكم بصرى. وانتهت بانسحاب المسلمين ومقتل القواد الثلاثة، وعودة خالد بن الوليد بالجيش. جمادى الأولى ٨ هـ/ سبتمبر ٦٢٩م.

١٧ - **سرية ذات السلاسل رقم ٧١:** وهدفها غزو بعض نصارى العرب من فروع قضاعة شمال وادى القرى وشمالها الغربى. وذات السلاسل على ساحل البحر جنوب ضبا، وقد قادها عمرو بن العاص. ولم يحدث قتال يذكر وكانت فى جمادى الثانية ٨ هـ/ شوال ٦٢٩م.

١٨ - سـرية الخـبط رقم ٧٢: إلى بلاد جهينة على ساحل البحر الأحمر جنوبى ذات السلاسل، بقيادة أبى عبيدة عامر بن الجراح؛ للتأكد من ولاء جهينة فى رجب ٨ هـ/ نوفمبر ٦٢٩م.

١٩ - سـرية الفلس رقم ٨٢: قادها على بن أبى طالب إلى بلاد طيىء فى جبال شمر، وقد هرب عدى بن حاتم وأسر المسلمون أخته سفانة فأسلمت، ثم عاد أخوها وأسلم - ربيع الثانى ٩ هـ/ يوليو - أغسطس ٦٣٠م.

٢٠ - غزوة تبوك رقم ٨٩: قادها الرسول، وهى غزوة العسرة إلى أرض غسان ولم تجد الروم. وفى أثنائها أرسل الرسول خالد بن الوليد ففتح دومة الجندل فى أرض كندة، رجب - رمضان ٩ هـ/ أكتوبر - ديسمبر ٦٣٠م.

٢١ - سرية أسامة بن زيد رقم ٩٠: وقد أعدت بأمر الرسول قبل مرضه، وحرص على إنفاذها وهو على سرير المرض، وأنفذها أبو بكر بعد موت الرسول فى ربيع الأول سنة ١١ هـ/ يونيو ٦٣٢م، ووصلت إلى أبنى داخل فلسطين.

وهكذا نرى أن عين الرسول لم تغفل قط عن شمال الجزيرة، فقد كانت سريته الأولى إلى خيبر فى المحرم سنة ٥ هـ/ يونيو ٦٢٦م. ولكن مغازيه وسراياه إلى الشمال اتصلت وتتابعت بعد الحديبية، لأن أوان إدخال شمال شبه الجزيرة فى الخطة الشاملة للمغازى قد جاء، واستمر النشاط حتى تبوك، ثم تأتى سرية زيد بن حارثة للدخول فى فلسطين، وهى كانت أرض الروم وعرب الروم، وتجىء فتوح أبى بكر والعصر الراشدى استمراراً للخطة المحمدية.

وهكذا نرى أن خطة نشر الإسلام فى جزيرة العرب أولاً. ثم إلى بقية بلاد الدنيا قد نفذت تحقيقاً لما قرره القرآن من ضرورة استمرار الجهاد حتى يصبح الدين كله على وجه الأرض لله سبحانه.

●●

بلاد الشام والجزيرة فى العصر البيزنطى قبيل الفتح الإسلامى

فتوح الشام (معركة هَرْمَجَدُّون Armageddon)

يستوقف النظر أن أبا بكر عندما شرع فى فتح الشام أرسل أربعة جيوش، مع أن المنطق يقول إنه كان يكفى أن يرسل جيشاً واحداً يجمع كل القوات التى أرسلها لتكون أقوى وأقدر على النصر. ولكن أبا بكر أرسل أربعة جيوش:

١ ـ جيش يقوده يزيد بن أبى سفيان، ووجهته دمشق، وأمره أن يسلك طريق تبوك.

٢ ـ جيش يقوده شرحبيل بن حسنة، ووجهته الأردن، وأمره أن يسلك طريق تبوك.

٣ ـ جيش يقوده أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص، ومركز القيادة الجابية.[١]

٤ ـ جيش يقوده عمرو بن العاص، ووجهته فلسطين، وأمره أن يسلك طريق أيلة.

أما السبب فى إرسال أربعة جيوش:

فذلك أن بلاد الشام البيزنطية كانت مقسمة إلى أقسام إدارية ولكنها عسكرياً كانت أربعة أقسام هى:

١ ـ فلسطين كلها: وقاعدتها المدنية القدس، والعسكرية عكا.

٢ ـ بلاد سورية أو دمشق وهى: أربعة أقسام: سورية الأولى وسورية الثانية وفينيقيا الساحلية وفينيقيا اللبنانية وقاعدتها دمشق.

٣ ـ أنطاكية: وتشمل سورية الثانية وولاية الفراتية.

٤ ـ أما ما سماه العرب بالأردن فيشمل بلاد غسان وما يليها شرقاً من البلاد التى تسكنها قبائل عربية من نصارى العرب وأهمها هنا: بقايا قضاعة، وأهمها: كلب بن وبرة، وبلى، وعذرة، وذو القين، وبعض بطون جهينة ممن يسكنون شمالى تيماء. وبلاد هؤلاء هى التى تسمى ريف قضاعة.

---

(١) الجابية: الجولان فى سوريا.

وهذا التصور هو الذى جعل أبا بكر يرسل أربعة جيوش؛ لأن الحقيقة أنها كانت مستقلة بعضها عن بعض، لا يجمعها إلا نائب قيصر الروم المقيم فى أنطاكية، ومعه أسقف أنطاكية.

وقد تبين له بعد ذلك أن هذه الخطة لم تكن المثلى. لأن الجيوش كان ينبغى أن تتجمع. وهذا هو الذى حدث قبيل اليرموك.

وكانت عدة كل جيش أولاً ٣٥٠٠ رجل، ولكن أبا بكر جعل يزيدها حتى أصبح كل جيش ٧٥٠٠ رجل، ماعدا جيش عمرو بن العاص فقد ظل ٣٠٠٠ رجل، ويقول الواقدى: إن عددهم تنام فى النهاية إلى ٢٤٠٠٠ رجل، والحقيقة أن عدد المقاتلين بعد قدوم خالد كان ٣٢٠٠٠ رجل.

ترتيب حوادث فتح الشام:

هناك خلط كثير عند مؤرخى العرب فى ترتيب حوادث فتح الشام (كما نرى عند البلاذرى) وقد رأيت أن أفضل طريقة لترتيب نسق الحوادث هو أن آتى أولاً بترتيب الحوادث معتمداً فى ذلك على مراجعنا العربية وتيوفانيس المؤرخ البيزنطى فى كتابه Chronograjhia ومعناه التوقيت. وبناء على ترتيب التواريخ تترتب الحوادث.

١ ـ تعيين أمراء الجيوش الأربعة ٤ ربيع الثانى ١٢هـ/ ١٨ يونيو ٦٣٣م.

٢ ـ خروج يزيد بن أبى سفيان ٢٤ رجب ١٢ هـ/ ٤ أكتوبر ٦٣٣م بجيشه إلى دمشق.

٣ ـ سقوط دومة الجندل فى يد خالد بن الوليد ـ ٢٤ رجب ١٢ هـ/ ٤ أكتوبر ٦٣٣م.

٤ ـ خروج شرحبيل بن حسنة بجيشه إلى الأردن ـ ٢٧ رجب ١٢ هـ/ ٧ أكتوبر ٦٣٣م.

٥ ـ خروج أبى عبيدة بن الجراح بجيشه إلى حمص ـ ٧ شعبان ١٢ هـ/ ١٧ أكتوبر ٦٣٣م.

٦ ـ استقرار خالد بن سعيد فى تيماء أو ارتداده إلى تيماء وإقامته فيها ردءاً للمسلمين ـ ١٤ شعبان ١٢ هـ/ ٢٤ أكتوبر ٦٣٣م.

٧ ـ خروج عمرو بن العاص بجيشه إلى فلسطين.

معركة العربة فى فلسطين ٢٤ ذو الحجة ١٢ هـ/ ١ مارس ٦٣٤م.

معركة داثن فى فلسطين ٣ محرم ١٣ هـ/ ١٠ مارس ٦٣٤م.

٨ ـ خروج خالد بن الوليد[١] من الحيرة إلى الشام ـ ٨ صفر ١٣ هـ/ ١٤ أبريل ٦٣٤م.

٩ ـ خالد يفتح بصرى فى الشام ٢٥ ربيع أول ١٣ هـ/ ٣٠ مايو ٦٣٤م.

١٠ ـ معركة أجنادين ٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ/ ٣٠ يوليو ٦٣٤م.

١١ ـ معركة مرج الصفر ١٦ جمادى الآخرة ١٣ هـ/ ١٨ أغسطس ٦٣٤م.

١٢ ـ معركة فحل ـ بيسان ٢٨ ذو القعدة ١٣ هـ/ ١٣ يناير ٦٣٥م.

وجه الروم قواتهم إلى فحل وبيسان، وتوجه إليهم المسلمون وهزموهم، وعادوا إلى حصار ذمن.

١٣ ـ تسليم دمشق بعد الحصار رجب ١٤ هـ/ ٣ سبتمبر ٦٣٥م كتاب الصلح ربيع الآخرة ١٥ هـ.

١٤ ـ تسليم بعلبك صلحا حوالى ٢٥ ربيع الأول ١٥ هـ/ ٦ مايو ٦٣٦م.

١٥ ـ فتح حمص ٢١ ربيع الآخر ١٥ هـ/ أول يونيو ٦٣٦م.

١٦ ـ معركة اليارموك ٥ رجب ١٥ هـ/ ١٢ أغسطس ٦٣٦م.

١٧ ـ تسليم القدس ربيع الآخر ١٦ هـ/ مايو ٦٣٧م.

المعارك وسير الجيوش والقتال:

١ ـ فى أول الأمر اتجه كل قائد مسلم بمن معه من الجنود لفتح الجهة التى وجهه الخليفة إليها.

وكلهم تبينوا صعوبة فتح الشام بهذا الأسلوب، ولابد من مدد، ولابد من تجميع الجيوش فى موضع واحد.

---

(١) مؤلف الكتاب من نسل خالد بن الوليد رضى الله عنه، من فرع ولده الأمير طريف الذى أتى باثنى عشر ألف فارس من العرب لرد الصليبيين عن دمياط. وأسس قرية ميت طريف بين دمياط والمنصورة. ودفن فى نوب طريف. ناحية السنبلاوين.

٢ ـ بعد أن هزم يزيد الروم فى عربة ثم دائن؛ وقف عمرو بن العاص بجنده جنوب أجنادين.

٣ ـ أبو بكر يسارع فيأمر خالد بن الوليد بأن يسرع بنصف من معه (٩ آلاف) إلى الشام، فيسير ويقتحم بصرى، ثم يتجه إلى دمشق لحصارها ومنها إلى أجنادين وينضم إلى عمرو بن العاص وأبى عبيدة ويزيد وشرحبيل. وتدور المعركة وينتصر المسلمون نصراً مؤزراً. ويقتل قائد الروم.

واتجه المسلمون بعد ذلك إلى دمشق ومروا بمرج الصفر، وهناك انتصروا على الروم فى مرج الصفر بعد أجنادين بشهر.

فى نفس الوقت وجه الروم قواتهم إلى فحل وبيسان، فرجع إليهم المسلمون من حول دمشق وكانت معركة حامية انهزم الروم فيها انهزاماً تاماً وتفرقوا فى كل ناحية.

ثم اتجه المسلمون إلى دمشق وحاصروها حتى سقطت فى ١٥ رجب ١٤ هجرية/ ٣ سبتمبر ٦٣٥ ميلادية.

وبعد ذلك اتجه المسلمون إلى بعلبك واستسلمت حوالى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٥هـ، ثم ساروا إلى حمص وافتتحوها فى شهر ربيع الآخر ١٥ هجرية.

وبعد ذلك جمع الروم كل ما استطاعوا من جند وفرسان وعدة حربية للقاء المسلمين فى معركة حاسمة نهائية، وأحس المسلمون بذلك فتجمعوا على نهر اليارموك فى موقع الواقوصة، وهو منعرج فى النهر حاصروا الروم فيه. وتم نصر المسلمين فى معركة اليارموك بقيادة خالد بن الوليد، وأبى عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان وجميع قوات المسلمين. وتم النصر الحاسم النهائى فى ٥ رجب ١٥ هـ. وانسحبت بقايا الروم إلى أنطاكية وبارحها هرقل عائداً إلى بلاده، ومضى المسلمون يستكملون فتوح الشام على مهل حتى وصلوا إلى حلب.

وطلب أهل القدس أن يسلموا بلدهم للخليفة عمر بنفسه، فذهب إليهم فتسلمها فى ربيع الآخر ١٦ هـ.

عقد عمر مؤتمر الجابية لقواده؛ لتنظيم فتح بقية بلاد الشام، ووضع نظام حكم البلاد. وفى هذا المؤتمر تقرر فتح مصر.

فتح قبرص

رفض عمر بن الخطاب أن يأذن لمعاوية والى الشام فى فتح قبرص، ولكن عثمان أذن له فى ذلك، فغزاها معاوية سنة ٢٨ هـ/ ٦٤٩م ورافقه عبادة بن الصامت مع امرأته أم حرام بنت ملحان. ودخلت الجزيرة فى طاعة المسلمين وأدى أهلها الجزية، وفى نفس الوقت ظلوا يؤدون للروم مثل تلك الجزية. فكأن الجزيرة أصبحت تابعة للروم والمسلمين فى نفس الوقت. لكن غزو قبرص الحقيقى كان سنة ٣٤ أو ٣٥ هـ/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥م عندما نقض أهل قبرص العهد وساعدوا الروم على المسلمين، فغزاهم معاوية فى اثنى عشر ألفا كلهم أهل ديوان، ونقل إليها جماعة من أهل بعلبك فبنوا المساجد، وكثر فيها المسلمون، وبنوا مدينة. فلما جاء يزيد بن معاوية أجفل المسلمين وهدم المدينة فأنكر المسلمون ذلك، فردهم إلى الجزيرة يزيد بن عبدالملك. ثم غزاهم حُميد بن معيوف الهمدانى أيام الرشيد وثبتت الجزيرة للمسلمين بعد ذلك.

فتح العراق

لم يستغرق فتح العراق إلا سبع سنوات.

فقد بدأ فى محرم ١٢ هـ/ مارس ـ إبريل ٦٣٣م. وانتهى فعلاً فى سنة ١٩ هـ/ ٦٤٠م بموقعة نهاوند التى تسمى فتح الفتوح، وقد كان فتح العراق من أعسر الفتوح الإسلامية نظراً لصعوبة الأرض ومجارى المياه.

وقد تحمل العرب فيه خسائر كبيرة. ونستطيع أن نقسمه إلى ثلاث مناطق يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً وهى:

١ ـ منطقة غربى نهر الفرات، وهى منطقة صحراوية فى الغالب، ولكن فيها مراكز عمران كبيرة أهمها بلاد الحيرة، وهى بلاد واسعة تمتد جنوب وغرب نهر الفرات، وهى غنية بالماء فى بعض المساحات، وسكان هذه المنطقة عرب من لخم، والأزد، وتغلب، والنمر

بن قاسط، وغيرها. هنا كانت مملكة المناذرة اللخميين. وكانت تابعة لدولة الأكاسرة الفرس، تؤمنها من ناحية بدو العرب الضاربين شمالى غرب الجزيرة العربية، وفى بادية الشام. ويقدم لها الفرس المعونات العسكرية والمالية. والحال هنا يشبه ما كان بين الغساسنة والروم. وقد تحدثنا عن ذلك فى فتوح الشام. وكانت بعض قبائل العرب هناك مسيحية[1]، ولكن كانت هناك ديانة محلية أخرى يسمى أتباعها بالعِبَاد، يغلب أنها مذهب من المسيحية متأثر بعقائد الفرس.

٢ ـ منطقة العراق وهى الجزء الجنوبى من بلاد ما بين النهرين، ويصل شمالاً إلى شمال منطقة طيشفون حتى مدينة الموصل، وهى بلاد كثيرة المياه والأنهار والمدن. وكانت جزءاً من دولة الفرس، بل كانت هناك عاصمتها، وهى طيشفون التى سماها العرب المدائن إلى الجنوب. وسكان هذه المنطقة من أهل العراق القدامى من بابليين وأشّوريين وكلدان، وغالبيتهم العظمى زراع، وكانوا خاضعين لسلطان فارسى ثقيل الوطأة، وهؤلاء كانوا فى الحقيقة من أكبر أهداف الفتح الإسلامى، فقد كان المسلمون يريدون تخليصهم من نير الفرس وعرض الإسلام عليهم، وهذا هو الذى حدث بعد أن قضى المسلمون على سلطان الفرس، وأزالوا دولة آل ساسان، فقد عرف أهل العراق الإسلام وتركوا ما كانوا عليه من زرادشتية ومانوية ودخلوا فيه، وهاجر إلى بلادهم كثير من العرب، واستقروا فى الأرض إلى جانب أهل العراق، وبدأ الامتزاج الذى نشأ عنه فى النهاية أهل العراق المستعربون، ثم العرب المسلمون.

٣ ـ منطقة الموصل والجزيرة وهى الجزء الشمالى من بلاد ما بين النهرين. وهى بلاد واسعة جداً يسكنها عراقيون قدماء وفرس وأكراد وأرمن وأجناس أخرى. وهذه المنطقة كانت فارسية حتى مجرى نهر الخابور، وتقع عند التقائه بنهر الفرات مدينة قرقيسياء Cir-cesslum. والقسم الفارسى الشرقى من بلاد الجزيرة كان يسكنه عراقيون وأكراد وفرس وأرمن، ولكنه كان فى جملته بلاداً قليلة السكان، وإن كان غنياً بأراضيه الخصبة ومياهه

---

(١) يوجد فرق بين النصرانية والمسيحية. ولم يؤمن بالمسيحية أى واحد من العرب (راجع كتابنا البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل).

الوفيرة ومرتفعاته التى تخرج أجمل الفواكه، ولهذا كثر نزوح القبائل العربية واستقرارها فيه بعد الفتح، وهنا نجد ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر. وهذه الهجرات العربية هى التى عربت هذا الإقليم وجعلته من أغنى بلاد العروبة. أما ما يلى نهر الخابور غرباً فكان ولايات بيزنطية رومية يسكنها كثير من الأرمن والمسيحيين ولكن الإسلام انتشر فيها انتشاراً واسعاً بعد الفتح وهاجر الكثير من أرمنها إلى إرمينية، وفى أثناء الحروب الصليبية نقل الصليبيون ـ الذين أقاموا هناك إمارة الرها ـ الكثير من أرمنها إلى منطقة الحدود فى آسيا الصغرى فنشأ ما يسمى بإرمينية الصغرى، وقد أزالتها إمارات الغزاة الأتراك فيما بعد، أو انتقل معظم سكانها إلى شرقى آسيا الصغرى وبلاد إرمينية.

وقد فتح العرب بلاد العراق من الجنوب والجنوب الشرقى.

أما بلاد الموصل فقد بدأ فتحها من الجنوب، ولكن فتحها الحقيقى كان من شمالى الشام.

وبعد هذه النظرة المجملة إلى العراق وما فيه ومن فيه ندخل فى الكلام عن فتوح الإسلام له.

والتفاصيل كثيرة جداً لدينا عن فتوح العراق، سواء فى مراجعنا القديمة التقليدية أو الحديثة، وبخاصة الدراستين القيمتين اللتين كتبهما الأستاذ أحمد عادل كمال عن «الطريق إلى المدائن» ثم «القادسية».

●●

ثانياً: من كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية ـ كارل بروكلمان[1]

لاحظ: أنه يعلل الحوادث بغير التعليل الصحيح.

«بعد أن خضعت بلاد العرب كلها فى هذه الفترة القصيرة من الوقت، نسبياً، لسلطة الإسلام، صار فى مقدور أبى بكر أن ينفذ خطة النبى الأخيرة، تلك التى تقضى بنشر الإيمان فيما وراء حدود الوطن الأم. ذلك بأنه كان عليه أن يوجد فرصة من النشاط

(١) ترجمة: نبيه أمين فارس ـ منير البعلبكى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٧.

الخارجى لهذه القوى التى كانت فى الماضى على استعداد دائم لأن تتفانى فى منازعات لا نهاية لها. ولكنه بدلاً من أن يهاجم بيزنطة ـ كما حاول النبى من قبله، إذ غالى فى تقويم قوة أصحابه ولم يحالفه التوفيق فى الحكم على الحالة الدولية، وبخاصة فيما يتعلق ببيزنطة ـ تطلّع أول الأمر إلى المشرق، نحو الإمبراطورية الفارسية. بعد أن رأى ضعفها البيّن، منذ عهد غير قصير.

فارس فى ظل الساسانيين

وكانت فارس وروما تتنازعان السيادة على الشرق الأدنى منذ قرون عديدة. وكان الساسانيون قد صدّوا تقدّم الدولة الرومانية الشرقية فى الجزيرة، كما صدّه أسلافهم الفرتيون فى عهد الأرساكيين. وفى عهد كسرى الثانى (٥٩٠ ـ ٦٢٨) اندفع الفرس فى هجوم قوى على أعدائهم ففتحوا «القدس» واستولوا على «مصر» نفسها[١] ولكن الإمبراطور هرقل لم يلبث أن انتزع من كسرى ثمرات النصر الذى تم له، وتعقّبه حتى عاصمة مُلكه بعينها. وهناك قُتل الملك الفارسىّ، بيد ابنه قُباذ الذى ما لبث أن فاوض الإمبراطور فى الصلح. ومن ذلك الحين والإمبراطورية الساسانية تسير قدماً نحو مصيرها النهائى المحتوم إلى الدمار. والواقع أن هذه الإمبراطورية لم تقم فى يوم من الأيام على أساس عنصرى متناغم، ثابت. فالآريون الذين هاجروا إلى البلاد فى عصر ما قبل التاريخ كانوا أقل جداً من سكان الشرق الأدنى الأصليين، الذين استغرقوهم فى وقت وجيز، على الرغم من أن التعاليم الدينية الزرادشتية قد ذهبت إلى أبعد الحدود فى سبيل الاحتفاظ بالصفاء العنصرى، فأوصت بالزواج من الأقارب دون غيرهم. وقد ساد الشكل الجسمانى الخاص بجنس الشرق الأدنى سيادة تامة، وتأثرت اللغة التى فرضها المهاجرون على أتباعهم تأثراً قوياً بلغة هؤلاء الأتباع. ومنذ تلك اللحظة التى نقل فيها الساسانيون مركز الثقل فى إمبراطوريتهم إلى بابل، جاعلين العاصمة فى المدائن. والآراميون والمسيحيون يورثونهم ضروب المتاعب وألوان القلق. حتى إذا أنشأ النساطرة

---

(١) هلل المكيون لهذه الانتصارات الفارسية. ولكن محمداً، الذى كان لايزال يشعر وقتئذ أن بينه وبين المسيحيين صلة قوية، أعلن أتباعه (سورة ٣٠: ١ ـ ٤) أن الهزيمة لابد أن تحل بالفرس فى وقت قريب.

فى الإمبراطورية الساسانية كنيسة مستقلة عن بيزنطة، سنة ٤٨٤، استطاعوا أن يكسبوا نفوذاً أعظم. بين الإيرانيين أيضاً، لأن هؤلاء كانوا كثيراً ما يسامون سوء العذاب، بين الفينة والفينة، بسبب من تعصب كهنة النار الزرادشتيين.

وحاول الفرس مرتين، فى التاريخ، أن يشقوا عصا الطاعة على هؤلاء الكهنة، ولكن على غير جدوى. ففى عهد سابور الأول (٢٤١ ـ ٢٧٢) ظهر مانى كمؤسس لديانة غنوسية جديدة متأثرة بالنصرانية، من ناحية، وببابل وإيران من ناحية ثانية، فوفق ـ فيما يبدو إلى ـ فى أن يستميل إليه الملك الكبير نفسه. فلما انقضى عهد سابور، وخلفه بهرام الأول، ألقى مانى فى غياهب السجن، حيث قطع بقية أيامه. ثم كان عهد سابور الثانى (٣٠٩ ـ ٣٧٩) فاضطهد أتباع مانى فى جميع أنحاء الامبراطورية أما النجاح الذى قُدّر للمانوية فى الامبراطورية الرومانية فكان أعظم جداً، وبخاصة عند الأتراك، جيران الفرس الشرقيين، حيث تنافست مع البوذية فى التمكين لحضارة محبة للسلام، وتعميم بركاتها. لكن المانوية ظلت ذات أثر فعال فى موطنها الأصلى، بابل، حيث سنقع بعد على أثرها فى الإسلام. وبعد قرنين من الزمان، وفى فترة الفوضى التى أعقبت هزيمة الملك فيروز ومصرعه فى المعركة التى خاضها ضد الهون البيض سنة ٤٨٤، ظهر معلم دينى آخر هو مَزدَك الذى واصل، فعلَ مانى من قبل النزعة الغنوسية فى إيران، ولكن تعاليمه أدت عند التطبيق إلى الاشتراكية فى الزوجات والأموال. واعتنق الملك الجديد قباذ الأول مذهب مَزْدَك سنة ٤٨٨ رجاء أن يضع حداً، من غير شك، لنفوذ رجال الدين وطبقة النبلاء الذى كان يتهدد النظام الملكى. ولكن رجال هاتين الطبقتين كانوا لا يزالون من القوة بمحلّ استطاعوا معه أن يخلعوا قباذ هذا حتى إذا خلفه ابنه كسرى الأول جعل الزرادشتية الرشيدة مذهب الدولة الرسمى، من جديد، فخلع عليه كهانها الشاكرون لصنيعه لقب «أنوشروان» أى الروح الخالدة. وكانت طبقة النبلاء قد تكوّنت، فى حالات كثيرة، من أمراء المقاطعات الذين كانوا مستقلين، عملياً، على عهد الأرساكيين، والذين استطاع الساسانيون أن يحدّوا من استقلالهم، وإن لم يقدروا على إخضاعهم بالكلية. والواقع أن الدولة ما كان فى ميسورها أن تستغنى عن النبلاء، لأن الفلاحين العاملين فى أراضى هؤلاء كانوا يشكلون قلب الجيش، أعنى الفرسان المدججين بضروب الأسلحة والدروع الثقيلة. ومن ثم كانت مراتب القيادة العسكرية العليا، كما كانت

بعض مناصب البلاط، وقفاً على أسر معينة، يتوارثها الأبناء عن الآباء. وبعد وفاة قباذ الثانى فى طاعون سنة ٦٢٨ تدخل هؤلاء النبلاء فى شئون الدولة، كدأبهم من قبل، تدخلاً لم يكن فى صالحها، فخلعوا سلسلة من الملوك بينهم بنتان من بنات كسرى الثانى. ولم يعد فى مكنة أمير جيوش الإمبراطورية نفسه أن يثبت دعائم الملك المتداعية على الرغم من أن سلطته طغت فى وقت من الأوقات على جميع مرافق الدولة وقواها. حتى إذا رقى العرش، سنة ٦٣٢، يَزدَ جَرد، آخر ملوك الساسانيين، كان العرب على أهبة الهجوم على الفرس، والقضاء على استقلالهم بضربة حاسمة.

سقوط الحيرة

وكان المُثنى بن حارثة، أحد قواد أبى بكر، الذين اشتركوا فى إخضاع ثوار البحرين، قد شرع بشن الغزوات، من تلك المنطقة، على الحدود الفارسية. فلما تم لخالد بن الوليد القضاء على فتنة مسيلمة فى «اليمامة»[1] أمره الخليفة بأن يتعاون والمثنى على غزو الفرس. فاتجها أول الأمر إلى الحيرة، وكانت وقتئذ قد فقدت منذ زمن طويل، مكانتها السالفة كسدّ خارجى يقى الفرس غزوات البدو، بعد أن عزل كسرى الثانى، سنة ٦٠٢، المنذر الخامس آخر اللخميين. فهُزِم قائد حامية الحيرة الفارسى، فى أُلَيَّس. وفى سنة ٦٣٣ سقطت الحيرة نفسها فى أيدى المسلمين دون مقاومة أخرى.

غزو فلسطين

فلما تم لجند أبى بكر فتح جنوبى العراق فى سهولة ويسر غير متوقعين، تذكر المسلمون، فى حماسة شديدة، الهدف الذى سبق للنبى أن عينّه وهو احتلال الأرض المقدسة[2]. ومهما يكن من أمر، فقد كان فريق من العرب يعيشون فى ظل الإمبراطورية

---

(١) اليمامة: هى مدينة الرياض فى المملكة العربية السعودية. واعلم: أن الراوى الواحد لا تقبل روايته. إذ لابد من اثنين من الرجال، أو رجل وامرأتين من العدول.

(٢) راجع دى غـويه M.J. do Goeje, Memoire sur La conquete de La Syri, 2 ed., Mem. d'hist et de geog. arabe II, Leiden, 1901.

- فى المصادر العربية «الأرطيون» وهو تصحيف ظاهر (المعريان).

البيزنطية كما كان فريق منهم يعيشون فى ظل الإمبراطورية الفارسية، فمن الضرورى أن يحمل إليهم إخوانهم المؤمنون بركات الإسلام وآلاءه، ويضموهم إلى الدولة القومية التى أنشأوها منذ وقت قريب[١]. أما العرب أتباع البيزنطيين فى دمشق فلم يعد لهم قوة تخشى لأن الكنيسة الملكية التى كانت تقوم بنفقات جيوش الإمبراطور هرقل امتنعت عن تقديمها لما رزحت تحته من الديون الثقيلة الناشئة عن الحرب الفارسية. وبالنظر إلى صعوبة المشروع الذى سبق للمسلمين أن حاولوا تحقيقه مرتين، دونما نجاح، فى عهد النبى، فقد استعدّت حكومة المدينة منذ البدء استعداداً خاصاً لهذه الحملة على بلاد الشام. وفى ربيع سنة ٦٣٤ جهز أبو بكر جيشين أحدهما تحت قيادة عمرو بن العاص ومهمته الهجوم على جنوب شرقى فلسطين، والآخر تحت قيادة يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة ومهمته الهجوم على مقاطعة مُوآب القديمة (البلقاء). ولم توجّه الحكومة البيزنطية جيشاً كثيفاً لملاقاة عمرو إلا بعد أن تقدم فى البلاد شوطاً حسناً. حتى إذا تمت هذه الانتصارات للمسلمين فى الغرب أسرع خالد من العراق إلى شرقى الأردن وتولى إمرة الجيش العليا هناك، ومن ثم سار لمساعدة عمرو.

موقعة أجنادين

وفى تموز أو آب نشبت بين الفريقين معركة تدعوها الروايات معركة اجنادَين[٢]، فى فلسطين بين الرملة وبيت جبرين، كتب فيها النصر لجيوش المسلمين الموحدة على قوات بيزنطة التى كان يقودها أرطيون[٣]. وفيما كان أرطيون هذا يلجأ إلى بيت المقدس استطاع قواده، فى جهد كبير، أن يضعوا حداً لتراجع قواتهم المنهزمة، وأن يحشدوها على الضفة الأخرى من الأردن. وكانوا قد فجروا السدود فى بيسان معطلين المخاضات عبر الأردن،

---

(١) هذا تعليل خاطىء من المؤلف. ومعناه: أن هزيمة الفرس والروم كانت بسبب انضمام العرب فى بلاد الفرس والروم إلى العرب الآتين للفتح. والحق: أن سبب الهزيمة: هو أن الناس كلهم كانوا يتوقعون ظهور النبى الأمى الآتى على مثال موسى فى ذاك الوقت. ولما أعلن العرب عنه، انضموا إليهم وهم مسلمون. وهذا هو السبب فى سرعة انتشار الإسلام فى ذاك الوقت، وبقائه إلى هذا اليوم.

(٢) انظر الهامش رقم (١) تحت كلمة طبرية فى الكلام عن اليارموك.

(٣) فى المصادر العربية «الأرطيون» وهو تصحيف ظاهر (المعربان).

ولكن خالداً استطاع العبور على الرغم من ذلك كله. وفى كانون الثانى ٦٣٥ هاجم العدوّ مرة ثانية فى فِحل على المنحدرات الغربية من شرقى الأردن، وطاردهم حتى دمشق. وفى الوقت نفسه كانت فرقة إسلامية صغيرة قد تقدمت إلى الشمال عبر المناطق الداخلية غير المحمية واستولت على مدينة حمص. وكان الإمبراطور هرقل الذى قاد الحملة من هناك فى السنة السابقة قد تراجع فى الوقت نفسه إلى أنطاكية. ثم إن خالداً نازل البيزنطيين فى معركة أخرى على أبواب دمشق، فهزمهم، وحاصرهم فى داخل المدينة. ودام الحصار الذى ألقاه خالد على دمشق نصف العام استسلمت بعده فى أيلول ٦٣٥. ولأسباب نجهلها انتقلت القيادة العليا من خالد إلى أبى عبيدة، ومع ذلك فقد ظل خالد فى الواقع هو القوة الدافعة فى الحملة. وكان هرقل قد بعث فى هذه الأثناء بجيش جديد من أنطاكية إلى سورية، مهمته فى أغلب الظن إنقاذ دمشق. ولكن أوان الإنقاذ كان قد فات، ومع ذلك فقد استطاع هذا الجيش أن ينقذ حمص على الأقل. حتى إذا أقبل الخريف، وعقبه الشتاء توقفت فيما يبدو العمليات الحربية بين الفريقين، بعد صلح اتفقا عليه.

اليارموك (هرمَجَدّون Armageddon)

وفى صيف ٦٣٦ افتتح البيزنطيون المعركة، من جديد، بجيش عظيم يقوده تُوذر البطريق، فالتقاهم المسلمون فى اليارموك، وهو رافد من روافد الأردن، منشأه فى حوران ومصبه فى أدنى بحيرة طبرية[1]، فأنزلوا بهم هناك، فى ٢٠ آب، هزيمة شنعاء، ذلك لأن الأرمن الذين كانوا يؤلفون نصف جيش الروم كانوا حاقدين على الدولة البيزنطية، غير راغبين فى القتال. ثم إن المسلمين تقدموا شمالاً، يحف بهم النصر من كل جانب، فاحتلوا حمص للمرة الثانية.

---

(١) تخلط الروايات أحياناً بين هذه المعركة ومعركة أجنادين. ومن ثم توهم الناس أن هذه المعركة وقعت فى اليرموث الوارد ذكره فى التوراة، أى فى خربة يرموك التى تقع اليوم فى يهوذا. وإذ لم يرد اسم أجنادين فى أى موطن آخر فقد ذهب العالم الروسى، ميدنيكوف Myednikov ـ وهو مصيب فيما ذهب إليه، من غير شك ـ إلى أنها تحريف عن «جنّابتين» (بتضعيف النون) لأن فى جوار المكان الذى جرت فيه المعركة موضعين يدعى أحدهما جنابة الغربية والآخر جنابة الشرقية، ولا يبعد أن يكونا قد جمعا على هذه الصيغة المثناة، كما يحصل فى كثير من الأحيان.

وفى الوقت نفسه كانت المعارك ضد الفرس تدور فى أنحاء الشرق. فبعد حملة خالد فى ربيع ٦٣٤ تولى المثنى، البكرى، القيادة العليا فى الحيرة. وفى تموز من السنة نفسها، توفى الخليفة أبو بكر فى المدينة، فتولى الأمر من بعده عُمر، وهو أقوى المهاجرين وأعلاهم مقاماً. وكما فعل من قبل فى تسهيل الحملة السورية بعث الآن بالإمداد والنجدات إلى جند المسلمين فى العراق، بقيادة أبى عُبيد الثقفى، ولكن الفرس كانوا كذلك يستعدون لقتال المسلمين وصدّهم عن سبيلهم، فالتقوا بالمسلمين عند قُسّ الناطف قرب الحيرة. وهنا عبر أبو عبيد الفرات على جسر من السفن، فدارت رحى الحرب بين الفريقين، فهزم المسلمون وقتل أبو عبيد. ثم إن رجلاً من المسلمين، تغمر الحماسة الفائقة صدره، بادر فقطع الجسر وأفسده فوجد المثنى عسراً شديداً فى تأمين خط التراجع للجيوش المنهزمة. والواقع أن سياسة الإمبراطورية الفارسية الداخلية الشديدة التعقيد حالت بين المنتصرين واجتناء ثمرة انتصارهم. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فقد كان لهذه الهزيمة الأولى وقع سيىء فى نفس عمر زهّده فى ميدان الحرب العراقى هذا.

القادســـية

ولم يعاود الفرس الهجوم إلا فى العام التالى. وكان المثنى فى انتظارهم عند البُوَيب، على الضفة المقابلة من إحدى قنوات الفرات الغربية، وهناك كتبت الهزيمة على الفرس، بالرغم مما أبدوه من مقاومة باسلة، واندفع المسلمون فى البلاد غازين ظافرين. وفى مطلع صيف ٦٣٥ استعد الفرس لخوض معركة أخيرة حاسمة. وكان المثنى قد توفى فخلفه فى القيادة العليا سعد بن أبى وقاص، وهو من أسبق الصحابة إلى الإسلام، وأشدهم إخلاصاً للنبى. وكان على رأس الجيش الفارسى رُستم نفسه، قائد الجيش الإمبراطورى. وقبيل ذلك كان يزدجرد قد تبوأ العرش الساسانى، بعد فترة طويلة من حكم النساء. وكان لايزال فى مقتبل العمر فانبرى بحزم وجدّ إلى دفع الخطر الذى كان يتهدد المقاطعة الخارجية على الحدود، فنشبت فى القادسية، غربى النجف الحاضر،

وعلى ثمانية عشر ميلاً ونصف الميل من معسكر الجيش فى الكوفة (التى أنشئت بعد المعركة ثم تطورت إلى مدينة) معركة فاصلة بين المسلمين والفرس، وذلك بعد أن ظل كل من الفريقين يترقب أن يكون عدوه هو البادىء بالهجوم طوال أسابيع عديدة. والواقع أن المصادر حافلة بالتفاصيل الرومانتيكية عن هذه المعركة، ولكنها لا تكفى كلها لأن نكوّن صورة واضحة عن سيرها. وإذ كان من العسير على الفرس أن يحظوا بقيادة استراتيجية موحدة، وإذا كانت كل قبيلة من العرب تحارب مستقلة عن الأخرى فليس من شك فى أن المعركة انتظمت سلسلة من المواقع المفردة. وأياً ما كان فقد منى الفرس بهزيمة شنعاء، فى حين أن خسائر المسلمين، الذين لم يتحققوا بالنصر إلا بفضل الإمدادات التى تدفقت عليهم من سورية أثناء المعركة، كانت ثقيلة إلى درجة اضطرتهم بادىء الأمر إلى أن يدعوا العدو أن ينسحب آمناً. ولكن المسلمين ما لبثوا أن تقدموا عبر الفرات، إلى المدائن عاصمة الإمبراطورية. وبعد محاولتين فاشلتين لتأخير تقدم الفاتحين كان على الفرس أن يتخلوا عن العراق، فدخل العرب عاصمتهم. وكان من الطبيعى أن تصبح الغنائم التى وقعت فى أيدى العرب هناك، والتى تتحدث عنها الروايات حديثاً حافلاً بالعجائب، حافزاً قوياً للعرب فى الجزيرة لاسيما عندما اضطروا إلى تجهيز النجدات لتحل محل الخسائر التى ألمت بهم فى الأرواح. وكان الفرس قد انسحبوا أول الأمر إلى حُلوان فى سفح سلسلة جبال «الصقر» وهنا جمع يزدجرد فلول جيشه الإمبراطورى وعزّزه بقوات جديدة. ثم صار يتقدم شيئاً فشيئاً نحو وادى نهر ديالى، الذى يصب فى دجلة شمالى المدائن، فوجّه سعد بن أخيه إليهم على رأس اثنى عشر ألف مقاتل، فهزمهم فى أواخر سنة ٦٣٧ فى جَلُولاء، على الضفة اليمنى من نهر ديالى، وعند الطرف الشرقى من الممر الذى يخترق جبل حمرين على طريق القوافل القديمة بين العراق وإيران. وعلى الرغم من أن البلاط الإمبراطورى حاول الصمود فترة من الزمان فى حصون حلوان فقد كانت الأراضى السهلية الممتدة حتى حدود «الجبال» قد سقطت فى أيدى المسلمين الذين بادروا إلى إنشاء مسجد لهم فى العاصمة، إيذاناً بأن احتلالهم للبلاد يحمل طابع الاستمرار والاستقرار.

فتـــح الشـــام

وفى السنة نفسها أكمل فتح الشام أيضاً. وكان مركز القيادة الإسلامية، فى الجابية، فى الجولان على مسيرة يوم واحد إلى جنوبى دمشق. وكانت الجابية مقر الأمراء الغسانيين من قبل، وقد احتفظت بأهميتها العسكرية حتى عهد الأمويين. ففى سنة ٦٣٧ خرج عمر إلى الجابية ومعه جلة الصحابة وخيارهم، ماعدا عليّاً، ليوطد الأمن فى الأراضى المفتوحة. ولعل أسس نظام العطاء (الديوان) الذى ضمن للمشاركين فى الحرب ولأعقابهم دخلاً ثابتاً من موارد البلاد المفتوحة، كانت قد وضعت قبل «يوم الجابية» هذا الذى شهده جميع أمراء الجيش العامل فى سورية. ومن هناك وجَّه عمر خالد بن ثابت لفتح بيت المقدس التى لم تلبث أن طلبت السلام. فتولى عمر نفسه عقد الصلح مع أهلها، وكانت شروطه رفيقة غير ثقيلة. فقد أعطاهم عمر الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم كما منحهم الحرية الدينية على أن يعطوا الجزية للمسلمين، وعلى أن لا يسكن ببيت المقدس معهم أحد من اليهود. والواقع أن عمر سار بنفسه إلى بيت المقدس، فدخل ساحة الهيكل المهجورة فأزال الردم بيده عن الصخرة المقدسة التى يعدّها اليهود والنصارى والمسلمون جميعاً منتصف الأرض، وأمر ببناء المسجد هناك.

فتـــح الجزيـــرة

أما وقد أصبح المسلمون الآن سادة سورية والعراق فقد بات من المحقق أن تسقط الجزيرة فى أيديهم من تلقاء نفسها. وكانت الجيوش البيزنطية لاتزال تحتفظ هناك ببعض المواقع المحصنة. وكان الآراميون، سكان البلاد الأصليون، خاضعين أبداً لاضطهاد الكنيسة الأرثوذكسية السائدة آنذاك، بسبب قولهم بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح، فلم تكن بهم رغبة فى الاحتفاظ بالوضع الراهن. ليس هذا فحسب بل لقد وفّقت قبائل العرب البدوية، قبل عهد الإسلام بقرون، إلى أن تجتاح البلاد، وإلى أن تبسط سلطانها من حين إلى حين على الرهاء والحضر. وهكذا كانت بلاد الجزيرة على أتم الاستعداد للفتح العربى.

ابتدأ الهجوم الإسلامى من سورية. وتفصيل الأمر: أنه بعد وفاة أبى عبيدة[١] سنة ٦٣٩، بطاعون عَمواس عيّن عمر عياض بن غَنم عاملاً على حمص وقنسرين وأمره بالتوسع فى بلاد الجزيرة. وفى النصف الثانى من السنة تقدم ابن غَنم إلى تلك البلاد، واضطر - فى فترة لا تزيد على عام ونصف العام - جميع مدنها تقريباً إلى الاستسلام. ولم يقاوم المسلمون مقاومة جدية إلا مدينة رأس العين، ولكنها لم تلبث أن خضعت. وفى سنة ٦٤١ قام عياض بغزوة على إرمينية نفسها، ليقضى نحبه بعد عودته إلى مقر إمارته بقليل.

فتح مصر

وفيما كان عياض يفتح الجزيرة، انصرف المسلمون، من جهة ثانية إلى فتح مصر[٢]، التى كانت من غير شك، محط أنظار الحكومة الإسلامية الجديدة، بوصفها أهراء ذات شهرة قديمة، والتى كان النبى نفسه على علم باضطراب الأحوال فيها، ففى سنة ٦٢٨ حاول الإمبراطور هرقل، بعد أن استخلص مصر من الفرس الفاتحين، أن يربط القبط القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح بالكنيسة الإمبراطورية. وفى سنة ٦٣١ عين كورش (المعروف عند العرب بالمقوقس) الذى كان حتى ذلك الحين أسقف «فاسيس» فى القبق (القوقاز) بطريركاً على الإسكندرية ورأساً للإدارة المدنية فى وقت معاً. ولكن سياسة المقوقس للكنيسة وإلحاحه فى جباية الضرائب الكثيرة كانت ثقلا على القبط إلى درجة كان من الطبيعى معها أن يرحبوا بالعرب كمنقذين[٣]، فعل السوريين، وهم إخوانهم فى الدين، من قبل. وتفصيل الأمر: أن عمرو بن العاص الأموى، أول قائد للجيش العربى فى فلسطين، هاجم من هناك سهل الفيّوم الخصيب فى كانون الأول سنة ٦٣٩، وليس معه من الجند عدد كاف لمثل هذا الصنيع، ومن غير أن يتلقى فيما يبدو، أمراً بذلك من

(١) لاتزال ذكراه حية إلى اليوم إذ يعتبره الفلسطينيون المسلمون ولياً.

(٢) راجع بتلر Aj. Butler. The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of Roman Dominion. Oxford, 1902.

(٣) هذا تعليل خاطىء من المؤلف: لأن أهل مصر كلهم كانوا طائفتين: طائفة اليهود - وهم قليلون - وطائفة النصارى - وفيهم مسيحيون كثيرون - وكانوا يعلمون أن محمدا قد اقترب زمانه من عدد سنين أسابيع دانيال. فلما جاء العرب لفتح مصر، انضم إليهم المؤمنون من الطائفتين، وساعدوهم على الفتح، ودخلوا فى دين الإسلام.

الخليفة عمر، فوفق إلى احتلال الفرماء فى كانون الثانى سنة ٦٤٠. ولم يجرؤ عمرو على أن يتقدّم، أول الأمر، إلى أبعد من ذلك، بعد أن جمع القائد الأعلى تيودوروس جيشاً عظيماً فى بابليون، أى ممفيس القديمة. وعندئذ بعث عمر بالزبير، أحد أصحاب رسول الله المقدّمين، إلى مصر على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف رجل ابتغاء نجدة عمرو. ومراقبته أيضاً لما عرف عنه من ميل إلى الاستقلال بالرأى والعمل. وفى حزيران سنة ٦٤٠ أغرى عمرو البيزنطيين بالخروج من حصنهم وخوض المعركة ضده فهزمهم فى عين شمس، وكان حصن بابليون لا يزال فى الوقت ذاته صامداً فى وجه المسلمين. ومن هناك دخل المقوقس نفسه فى مفاوضات مع عمرو، ثم قصد إلى بيزنطة ليحظى بموافقة الامبراطور على التسوية التى أرادها مع العرب. ثم إن هرقل، الذى اعتبر المقوقس خائناً، توفى فى ١١ شباط سنة ٦٤١. وفى الوقت نفسه كان الغزاة من العرب يجوسون خلال الديار غانمين مخرّبين. وأرسل تيودوروس يلح فى طلب الإمداد، ولكن على غير طائل. فقد كان الأوصياء على الإمبراطور الجديد، قسطنطين الثانى[1] وكان آنذاك فى الحادية عشرة من العمر، فقط، مضطرين إلى أن يتركوا الأحداث فى الشرق تتخذ سبيلها المظلم، وذلك لحاجتهم الماسة إلى الاحتفاظ بجيوشهم فى العاصمة نفسها ابتغاء القضاء على ثورة كانوا يتوقعونها، ولانهماكهم من ناحية ثانية بالحرب، ضدّ اللومبارديين فى إيطالية. وفى يوم الاثنين الذى تلا الفصح، ٩ نيسان سنة ٦٤١ استسلمت بابليون، وتقدّم عمرو متمهّلاً، عبر النيل، إلى الإسكندرية. فما كان من الحكومة البيزنطية إلا أن بعثت بالمقوقس إلى مصر، كرَّة أخرى، ليفاوض عمرواً. فتمّ الاتفاق بين الفريقين على أن يُعطى البيزنطيون جزية سنوية معينة، وعلى أن يترك المسلمون للمسيحيين معابدهم، ولا يتدخلوا فى إدارة شئونهم الاجتماعية. وعلى أساس هذه المعاهدة أخلى البيزنطيون الإسكندرية فى ١٧ أيلول سنة ٦٤٢ فاحتلها العرب. ثم أنشأ عمرو بن العاص المسجد الذى لايزال يحمل اسمه فى الفُسطاط، معسكر بابليون، التى أصبحت فيما بعد القاهرة القديمة، فكان فى ذلك إيذان مبدئى باستيلاء الإسلام على وادى النيل. وفى عهد معاوية

---

(١) حفيد هرقل. رقى العرش بعد وفاة أبيه الذى دام حكمه أربعة أشهر فقط.

جُدّد هذا المسجد، وكان مركزاً للمؤذنين، فصارت له غُرف صغيرة للحراسة ذات درجات مُنشأة على الزوايا، وهو الشكل الأقدم للمئذنة، الذى تطور بعدُ على ضروب من الطّرُز. والذى لايزال قائماً إلى الوقت الحاضر فى بعض مساجد القرى فى مصر وآسيا الصغرى.(١)

ولم يحاول الأسطول البيزنطى أن يظهر للمرة الثانية فى الإسكندرية ابتغاء استردادها من المسلمين إلا فى سنة ٦٤٥. والواقع أن سكان المدينة فتحوا أبوابها فى وجه البيزنطيين، فما استطاع عمرو أن يخرجهم منها حتى سنة ٦٤٦. وكان عمر بن الخطاب قد عزله، قبل ذلك، عن الحكم، ولكنّ عثمان ـ خليفة عمر ـ ما لبث أن أعاده بعد أن أثبت الأمير الجديد عجزه عن النهوض بأعباء الإدارة ومواجهة الأحداث فى ذلك الظرف.

وتبنى المسلمون فى مصر، شأنهم فى البلدان الأخرى، مادة النظام الإدارى الذى اتبعته الحكومات السابقة. بل إنهم أبقوا جميع الموظفين القدماء فى مناصبهم، التى ظلّ يشغلها الأقباط على العموم فيما بعد أيضاً. وكان للأمير، الذى يمثل الخليفة، السلطتان العسكرية والإدارية، وكان يعاونه ـ خشية أن يتسع نفوذه بأكثر مما يجب ـ عامل هو بمثابة مدير للمال. والحق أننا مدينون للمناخ المصرى الجاف بهذه المجموعة الضخمة من ورق البردى التى لا نزال نحتفظ بها، والتى تلقى نوراً ساطعاً على ماجريات الأمور آنذاك. فقد سبق للرومان، رغبةً منهم فى توفير الغذاء لحامياتهم، كما سبق للبيزنطيين رغبة منهم فى تموين عاصمتهم أيضاً، أن اعتادوا تقدير ما يتوجب على كل قرية أن تقدمه من محصول الحنطة فيها، وهو لايزال قيد الدرس بالنورج. فلما استولى العرب على مصر احتفظوا بالحقوق نفسها لجنودهم وأسرهم. فكان الحاكم المسلم يبعث فى أواخر العام، قُبيل موسم البَذر الجديد، ببيان سنوى إلى كل منطقة، وفيه نصّ على مقدار ما يتعين عليها تقديمه للدولة من محاصيلها. وكان رؤساء المناطق مسئولين عن جباية هذه الضرائب عيناً. وكان يساعدهم فى ذلك جُباة يتقاضون خمسة فى المئة مما

---

(١) راجع شاخت: J. Schact in Ars Islamica V (1938), p. 46ff.

يجمعونه للدولة من الغلال، مقابل خدماتهم وتعويضاً عن أى نقص قد يحدث. وكان هؤلاء الجباة يقدمون إلى الدولة ضمانا للحنطة التى ستجبى من الفلاحين إلى أن تودع فى مخازن الدولة، فى المناطق المفردة، وفى عواصم المقاطعات بصورة خاصة. ومن هناك تنقل الحنطة إلى العاصمة بطريق الماء، عادة، لتوزع بعد على الجنود وأسرهم. وكان على المناطق أن تعطى، بالإضافة إلى هذه الرسوم العينية، ضريبة مالية هى فى الدرجة الأولى مقابل الحماية وحرية العبادة التى تضمنهما الدولة لها ولم يكن للفلاحين مورد مالى غير تجارة الحنطة، طبعاً. ولكن هذه التجارة كانت تراقب، على الدوام، مراقبة دقيقة من قبل الدولة. فقد كانت محاصيل الحنطة كلها تنقل إلى بيادر أميرية، حيث تُعقد الصفقات، فى العادة، أيضاً. ليس هذا فقط. بل لعل الدولة كانت تقبل فى كثير من الأحيان أن تأخذ الحنطة بدلاً من الرسوم النقدية المعينة.(١)

فتـــح فـــارس

وكان مصير الإمبراطورية الفارسية قد تقرر، فى الوقت نفسه. ففى سنة ٦٤٠ غادر الملك يزدجرد حُلوان حيث لم يعد يستشعر السلامة، بعد أن سقطت البلاد التى حولها فى أيدى العرب، وانسحب إلى فارس. وهناك أنشأ يستعد للمعركة الأخيرة. ولكن عمر لم يمهله حتى يتهدد بالخطر المقاطعات التى ضمها العرب حديثاً إلى ملكهم، فوجّه إليه النعمان بن مُقرِّن على رأس جيش مؤلف من جميع الجنود الذين كانوا على الحدود آنذاك. ولم تكد تبدأ الحملة سيرها، سنة ٦٤٢، حتى وفق المسلمون إلى احتلال قرميسين(٢) شمال شرقى حُلوان، وبذلك سيطروا على المسالك المؤدية إلى المناطق الجبلية. ثم إنهم احتكوا فى نهاوند، جنوبى همذان (أكبتنا القديمة) بقوات العدو وعلى رأسها القائد المحنك الفيرُزان.

---

(١) راجع بيكر C. H. Becker, Grundlagen der wirtschaftlichen Fntwicklung Agyptens in den ersten Jahrhunderten des Islams, Islamstudienl, Leipzig, 1924, 201 - 17.

راجع أيضاً «بل»: H. Bell. The Administration of Egypt: under the Umayyad Khalifate, in Byzant. Zeitschrift XXVII. (1928), 278ff.

ولامنس: H. Lammens. Etudes sur Le siecle dos Omayyades, Beyrouth, 1930. 303 - 23.

(٢) وجاءت أيضاً فى المصادر «فرماسين» (المعربان).

وكان جيش الفرس يفوق المسلمين عدداً. فاستمرت المعركة يومين اثنين. وحف الغموض بادىء الأمر بنتيجتها النهائية. فقد سقط فى ساحتها النعمان نفسه، ولكن خَلَفه حُذيفة بن اليمان، الذى اختاره عمر من أول الأمر لقيادة الجيش إذا ما قضى النعمان فى المعركة، ولم يلبث أن انتزع النصر للمسلمين.

بعد هذه الهزيمة التى حلت بالفرس لم يعد من الميسور مواصلة المقاومة الموحدة فى قلب الإمبراطورية.

●●

ثالثاً: من تاريخ اليعقوبى

ومؤلفه هو أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر، الكاتب العباسى.

جاء فيه عن فتح المسلمين لفلسطين: «وكتب أبو عبيدة إلى عمر يعلمه مطاولة أهل إيلياء وصبرهم. وقال بعضهم: إن أهل إيلياء سألوه أن يكون الخليفة هو المصالح لهم: فأخذ عليهم العهود والمواثيق، وكتب إلى عمر فخرج إلى الشام، واستخلف على «المدينة» عثمان بن عفان، وقرّب خالدا وأدناه وأمّره؛ فسار فى الناس على مقدمته، وذلك فى رجب سنة ١٦هـ فنزل «الجابية» من أرض «دمشق» ثم صار إلى «بيت المقدس» فافتتحها صلحا، وكتب لهم كتابا:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس. إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم. وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب. إلاّ أن تحدثوا حدثا عاماً»

وأشهد شهودا..

واختلف القوم فى صلح «بيت المقدس» فقالوا: صالح اليهود، وقالوا: «النصارى»[١] أ.هـ.

●●

(١) صـ١٤٦ ـ ١٤٧ الجزء الثانى ـ تاريخ اليعقوبى ـ طبعة بيروت.

المناقشـــــة:

١ ـ قوله: إن «بيت المقدس» ويعنى به «أورشليم» أو «إيلياء» قد فتحت صلحا؛ هو قول باطل. وذلك لأن جيوش المسلمين قد أبلت بلاء عظيماً فى موقعة «اليارموك» ولم يكفوا عن القتال حتى أثخنوهم. وعندئذ وضعت الحرب أوزارها، ووقع أهلها تحت الجزية بعد أن زالت شوكتهم. وهو نفسه قد صرح بذلك فى قوله: «وتوجه أبو عبيدة نحو جمع الروم: ففتح الأردن عنوة» وفى قوله: «وجمع أبو عبيدة إليه المسلمين، وعسكر باليارموك، واقتتلوا قتالا شديدا، وكانت وقعة جليلة الخطب. فقتل من الروم[1] مقتلة عظيمة، وفتح الله على المسلمين، وكان ذلك فى سنة ١٥هـ» ثم قال: «ورجع أبو عبيدة نحو الأردن: فحاصر أهل إيلياء، وهى بيت المقدس؛ فامتنعوا عليه وطاولوه» فكيف مع ذلك يقول: إنها قد فتحت صلحا؟

٢ ـ وقوله: إن القوم قد اختلفوا فى صلح بيت المقدس. فمنهم من قال: إن عمر صالح اليهود، ومنهم من قال: إن عمر صالح النصارى. قوله هذا فيه تفرقة واضحة بين الطائفتين. وفيه مغالطة. وذلك لأن النصارى هم أتباع عيسى عليه السلام الأمناء إلى زمان التحريف فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م والمسيحيون هم الذين من مجمع نيقية إلى هذا اليوم. والمسيحيون هم الروم وهم واليهود متفقون على إنكار نبوة محمد ﷺ فإذا كان الصلح مع اليهود فإنهم ينوبون عن المسيحيين، وإذا كان الصلح مع المسيحيين فإنهم ينوبون عن اليهود؛ لأنهما طائفتان من دين واحد. لقوله تعالى: ﴿فَآمَنَت طَّائفَةٌ من بنى إسرائيلَ وكَفرت طَّائفَةٌ﴾.

والحق: أن الحرب كانت مع اليهود، وأن الصلح كان مع اليهود. وبيان ذلك:

إن اليهود من قبل سبى بابل كانوا يدعون الأمم إلى الله، وكانوا يختلطون بهم عن طريق الزواج، ومن بعد سبى بابل امتنعوا عن دعوة الأمم ولم يختلطوا بهم عن طريق الزواج. وقصروا الدين عليهم. وغرضهم من ذلك: أن يحافظوا على نسلهم إلى الأبد، ويتميزوا به

---

(١) كان يجب أن يقول من اليهود (راجع الطبرى وابن الأثير والواقدى وغيرهم).

على سائر الأمم. فلما جاء عيسى عليه السلام وأعلن عن قرب مجيء محمد ﷺ علموا أنهم إذا لم يدخلوا فى دينه إذا جاء فإنه سيبيدهم من أرضهم، وسيقطعهم من الشعب. وعلموا أن الأمم ستنضم إلى بنى إسماعيل فى الإيمان به. وفى هذه الحالة لا يقدر اليهود وحدهم على الانتصار على محمد ﷺ وأصحابه. فكيف يخلصون من هذه التهلكة؟

أوعزوا إلى «بُولُس» أن يتظاهر بالحماس لكلام عيسى عليه السلام حتى إذا ما وثق أتباعه به، يحرف لهم كلامه عن مواضعه. وعرفوه كيف يحرفه وهو أنه يدعوهم إلى قبول الأمم فى الدين. وقد دعوا الأمم إلى قبول الدين ليستنصر بهم اليهود على محمد وأتباعه. واحتاط اليهود لأنفسهم من الأمم. وذلك بتمسك اليهودى بالتوراة، ولا يتمسك بها الأممى بحجة أن المسيح قد رفع الخطايا بقتله على الصليب. فما هى الفائدة من دخول الأممى فى المسيحية وليس فيها شريعة؟ إذاً يكون حاله وهو عليها كحاله من قبل أن يدخل فيها. وبذلك يكون دخول الأممى فى المسيحية حيلة احتال بها اليهود عليه ليقووا به على محمد وأصحابه. وقد خدعوا الأمميين بقولهم: إننا ننتظر نبيا لم يأت بعد ولسوف يأتى من جنسنا. والمسيحيون الذين انشقوا علينا يقولون إنه هو يسوع الذى يدعى المسيح، وإنه سوف يأتى مرة أخرى. يريدون من قولهم هذا: أن محمدا ليس هو النبى المنتظر لأنه ليس من اليهود. فإذا آمنت الأمم بذلك، شاركوا اليهود فى حربه إذا ما جاء بدعوى أنه نبى كذاب.

ولنتكلم بعد ذلك فى حال بلاد الروم وفارس إبان ظهور الإسلام ونقول: إن أهل فارس كانوا على شريعة موسى عليه السلام من الأيام الأولى لبدئها. وقد أرسل الله يونس عليه السلام إلى «نينوى» ليدعوهم إلى التوبة. ولما ذهب اليهود إلى بابل أيام نبوخذ نصر، عرفوا الناس بالله رب العالمين، وكثيرون منهم لم يعودوا إلى فلسطين. فلما اعتنق الرومان المسيحية على مذهب بولس؛ دعا النساطرة، ودعا الصابئون فى فارس وقد دعا «توما» فيها من بعد المسيح مباشرة. ودعا مانى الفارسى ودعا فيها نسطور. ولما غزا الفرس أورشليم فى الأيام الأولى للإسلام، وانتصروا على الروم فى أدنى الأرض؛ رجعوا بذهب الهيكل ونفائس الكنائس إلى فارس. ولما غلبت الروم الفرس. كان الروم هم الحاكمين على العالم.

فليسأل العقلاء أنفسهم عن أحوال العالم وقت الفتح الإسلامى. هل يجدون دولتين اثنتين أم يجدون دولة واحدة؟ إن الفرس مهزومة هى والبلاد التى حولها. والغالبون هم أهل الروم. وهم مسيحيون. وفى البلاد الفارسية المهزومة مسيحيون ويهود، وفى مصر التى كانت تحت الجزية للروم يهود ومسيحيون. ومثل ذلك فى سائر مدن الشام وفى بلاد الترك والخزر والروس ويأجوج ومأجوج، وفى اليمن وفى الحبشة وفى السودان وليبيا والجزائر ومراكش والمغرب وأسبانيا، وفى المدن الرومانية كلها. فإذا حدثت الحرب بين المسلمين وبين أعدائهم أيام الفتح الإسلامى فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فمن هم أعداؤهم؟ ليس إلا اليهود والمسيحيين؛ لأن الروم كانت هى المالكة لجميع الأمم وهم مسيحيون. والمسيحيون طائفة من اليهود. وهم واليهود ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ كما فى القرآن الكريم.

وعلى ذلك يكون أصحاب النبى ﷺ هم الطرف الأول، ويكون اليهود هم الطرف الآخر. ومن هم الأكثر عددا والأقوى عتادا؟ ومن من الطرفين كان الله معه؟

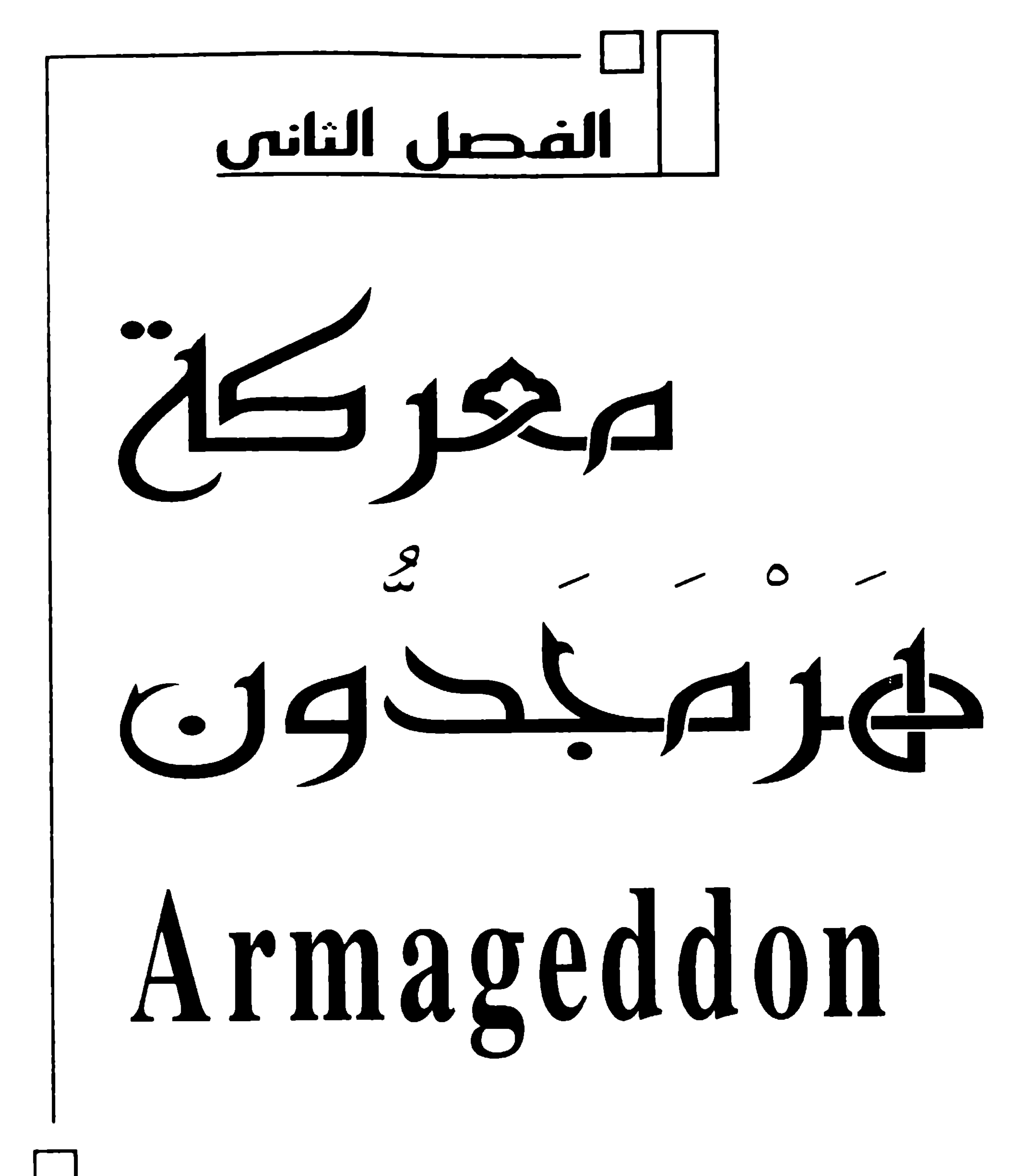
ولذلك دعا اليهود شركاءهم من المسيحيين من جميع البلاد للمجىء إلى فلسطين، ودعا اليهودُ الذين كانوا فى فلسطين اليهودَ من جميع البلاد للمجىء إلى فلسطين ليحاربوا العرب وليمنعوهم من احتلال «أورشليم» لأن «أورشليم» لو سقطت فى أيدى العرب الفاتحين؛ فإن ملك اليهود يزول من العالم إلى الأبد. وقد أتت آلاف مؤلفة من جميع المدن لمساعدة اليهود، ولكن الحرب كانت عديمة الجدوى، وتطهرت الأرض من شرورهم.[1]

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾.

■■■

---

(١) وقول المؤرخين إن المسلمين حاربوا 'الفرس والروم فى بدء الإسلام. معناه: أنهم حاربوا الجيوش الرومانية المدافعة عن الفرس، فى أرض الفرس: خشية أن تسقط الفرس فى أيدى المسلمين. فلما هزمت الجيوش الرومانية تولى الفرس الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم.



الفصل الثانى

معركة هَرْمَجَدُّون

Armageddon

2



من أوصـاف النبى مـحـمـد ﷺ فى التـوراة: أنه فى الأيام الأولى لظهـوره يشن حـربا شديدة على اليهود الذين لا يؤمنون به، وينتصر عليهم، ويقطعهم من شعب الله. ويحارب مـعـهم شـركـاءهم من الأمم الوثنيـة. كـمـصـر والأردن وفلسطين وسـوريا ولبنان والمملكة الرومانية ـ وهى تدين بالمسيحية ـ وأرض يأجوج ومأجوج.

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لى الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى، أنا أطالبه، وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى. وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه» (تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢).

وفى سفر أعمال الرسل: أن هذا النبى لم يكن قد ظهر قبل عيسى عليه السلام، وأنه إذا ما ظهر فإنه سيشن حرباً شديدة على اليهود والأمم وسيبيد اليهود من الشعب. ولكن الكاتب قال: إن هذا النبى الآتى هو المسيح عيسى عليه السلام مع علمه بأن المسيح عيسى عليه السلام لا تنطبق عليه الأوصاف المذكورة فى النبوءة.

والأوصاف هى:

١ ـ نبى «يقيم لك الرب إلهك نبيا».

٢ ـ من بنى إسماعيل «من إخوتك» وهو يقصد بنى إسماعيل؛ لأن الله قال لإبراهيم عليه السلام: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه».

٣ ـ مثل موسى «مثلى» وفى التوراة أنه لن يقوم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى: فى الحروب والانتصار على الأعداء والملك على الأمم والشعوب، والمعجزات (تث ٣٤: ١٠ ـ ١٢).

٤ ـ ينسخ شريعة موسى «له تسمعون».

٥ ـ يكون ملكا «له تسمعون».

٦ ـ أمى. لا يقرأ ولا يكتب «وأجعل كلامى فى فمه».

٧ ـ أمين على الوحى الإلهى «فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

٨ ـ يقضى على ملك بنى إسرائيل فى الأرض «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» أى أنتقم منه، وأبيده من الشعب (أعمال ٣: ٢٢ ـ ٢٣).

٩ ـ لا يقتل بيد أعدائه «وأما النبى الذى يطغى؛ فيتكلم باسمى كلاما ...» وفى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق والسامريين: «فليقتل».

١٠ ـ يتحدث عن غيب، يقع فى مستقبل الأيام، ويحدث الغيب، كما قال «وإن قلت فى قلبك....».

ونص سفر أعمال الرسل هو:

«والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا. فتوبوا وارجعوا لتمحى

خطاياكم لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب. ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل. الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم: «وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» (أع ٣: ١٧ ـ ٢٥).

يريد أن يقول: إن المسيح تألم بالقتل والصلب، وأن الله سوف يرسله مرة أخرى لتنطبق عليه نبوءة التوراة. وهى: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى، تُباد من الشعب».

والرد عليه:

هو أنه فى إنجيل يوحنا. يقول المسيح لله تعالى: «ولستُ أنا بعدُ فى العالم» أى بعد رحيلى من العالم، لن أعود إلى العالم. ذلك قوله لله عن الحواريين:

«أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك. والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك. لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا يقينا أنى خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتنى. من أجلهم أنا أسأل. لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتنى لأنهم لك. وكل ما هو لى فهو لك. وما هو لك فهو لى وأنا ممجد فيهم. ولست أنا بعد فى العالم وأما هؤلاء فهم فى العالم وأنا آتى إليك. أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن» (يو ١٧: ٦ ـ ١١).

●●

مكان هلاك اليهود وأفواج من الأمم
على يد محمد ﷺ وقت ظهوره:

لما قال موسى عليه السلام عن محمد ﷺ: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» أى يقطع اليهودى الكافر به من الشعب فى أيام ظهوره، كما فسر بطرس فى الإنجيل بقوله: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب».

حدَّد يوحنا اللاهوتى مكان المعركة بأنه سيكون فى أرض «هَرْمجدون» وهَرْ: معناها بالعبرانية: جبل. ومجدون. اسم المنطقة ـ التى هى الآن مرج ابن عامر فى فلسطين بجوار حيفا. وكتب يقول:

«ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير. الفرات. فنشف ماؤه؛ لكى يُعدّ طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع؛ فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة؛ لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم. يوم الله القادر على كل شىء. ها أنا آتى كلص. طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يمشى عرياناً فيروا عُريته. فجمعهم إلى الموضع الذى يُدعى بالعبرانية هَرْمَجَدُّون» (رؤ ١٦: ١٢ ـ ١٦).

لقد ربط بين (أ) هرمجدون (مكان المعركة). (ب) وبين يوم الرب[١] العظيم، يوم الله القادر على كل شىء. وقال: إن القتال سيكون فى يوم الرب فى منطقة هرمجدون «Armageddon».

---

(١) فى كتابنا حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب. ما نصه:

«يوم الرب العظيم: هو اليوم المحدد لظهور النبى المماثل لموسى عليه السلام. وهو يوم عظيم ومخيف كما عبر عنه ملاخى فى سفره. وذلك لأنه هو وأصحابه الأخيار سيقومون بحروب على بنى إسرائيل والأمم، وسينتصرون على بنى إسرائيل والأمم، ويؤسسون مملكة لا تنقرض أبدا، وشعبها لا يترك لملك آخر. كما وضح النبى دانيال فى حديثه عن ملكوت السموات.

هذا عن مكان هذه المعركة. التى سيقطع فيها اليهود من الشعب على يد أصحاب محمد ﷺ وفى القرآن الكريم أنه إذا لم يهلكهم فى حياته؛ فإن أصحابه ـ لأنهم نائبون عنه ـ يهلكونهم بدلا عنه. ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾.

=

ولهذا اليوم العظيم والمخوف علاقة ببنى إسرائيل، وعلاقة بالأمم.

(أ) أما علاقته ببنى إسرائيل. ففى سفر إشعياء إنه يوم تأديب لهم من الله على خطاياهم (إش ٢: ١٢) وفى سفر عاموس أنه ليس نقمة على أعداء بنى إسرائيل فحسب (٥: ١٨) كما كانوا يستفتحون على أمم الكفر. بل إن بنى إسرائيل أنفسهم هم أول من يقع عليهم ضربات تأديب الله. يقول عاموس: «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض. لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم» (عا ٣: ٢).

وليست دينونة الله على بنى إسرائيل للعقاب فقط فإنها هى أيضاً للتطهير والتنقية. إذ سيسلم منهم أناس. ويدخلون فى دين النبى الأمى الآتى، ويكونون زرعا مقدسا يأخذ أجره مرتين، كما فى إش ٦: ١٣ عا ٩: ٩ صفنيا ٣: ١٣ و٢٠ وسفر هوشع يوضح هذا بأسلوب رصين.

(ب) وأما علاقته بالأمم ـ والأمم هم أى أمة غير بنى إسرائيل ـ فإن التوراة تبين: أن الله تعالى سيهلك الأمم الكافرة بمحمد ﷺ وسيستخدم الأمم أدوات لإتمام قضائه على بنى إسرائيل. أى أنه سيحارب بنى إسرائيل بالأمم التى دخلت فى دين النبى المماثل لموسى. ولسوف ترجع بقايا من جميع أمم الأرض إلى الله تعالى وتدخل فى دينه مع الذين دخلوا أولا، كما فى زكريا ١٤: ١٦ وتجمع أسفار التوراة على أن «ملكوت الله» وهو ملك النبى الأمى المماثل لموسى، سيمتد حتى تمتلىء الأرض من مجد الله، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا. انظر:
إش ٢: ٢ ـ ٥ ميخا ٤: ١ ـ ٥ إش ٤٢: ٤ و٦٠ و٦٦: ٣ ـ ٦ إرمياء ١٢: ١٤ ـ ١٦ و١٦: ١٩ ـ ٢١ حز ١٦: ٥٣ و٥٥ و٦١ وسيرد الله الأمم المقهورة إلى القوة فى حالة اعتناقها للشريعة الجديدة ودخولها فى ملكوت الله كما فى عاموس ٩: ١١ حب ٢: ١٤ مز٢٢: ٢٧ ـ ٣١ و٦٥: ٢ و٥ و٨٦: ٩ ومز ٨٧ وهذه الحوادث فى لغة كتّاب الأسفار تختص بالأيام الأخيرة لملكوت بنى إسرائيل والأيام الأولى لملكوت النبى الآتى (إش ٢: ٢ إرمياء ٤٨: ٤٧ حز ٣٨: ١٦ هوشع ٣: ٥ ميخا ٤: ١)

فى نبوءة دانيال العظيمة عن الممالك الأربع، نراها تتحطم إلى أجزاء، بواسطة «ملكوت السموات» المشبه بحَجَر. قُطع من جبل بغير يدين (دانيال ٢: ٤٤ و٤٥ مع ٧: ٢٧)

وأعطى قديم الأيام المملكة إلى شبه «ابن الإنسان» (٧: ١٣). كما يشارك حَجّى وزكريا النبيان ـ بعد السبى ـ فى هذه الآمال اللامعة (حجى ٢: ٦ و٧ زك ٢: ١٠ و٨: ٢٠ ـ ٢٣ و١٤: ١٦). وفى سفر ملاخِى نجد واحدا من أقوى الأقوال النبوية: «من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم» (١: ١١) ويختتم النبوة بالإعلان عن النبى المماثل لموسى مرسلا من الله: فهو الذى سيأتى باليوم «العظيم والمخوف» (ملاخى ٤)

ويتفق معنا اليهود والنصارى فيما قلناه؛ عن «يوم الرب» وفى الشواهد التى ذكرناها من الكتاب. ويصرحون بختم النبوة بالإعلان عن النبى الأمى الآتى المماثل لموسى مرسلا من الله؛ فهو الذى سيأتى باليوم «العظيم والمخوف» ووجه الخلاف هو فى قول النصارى: أن النبى الأمى الآتى هو المسيح بن مريم وقد جاء. وفى قول اليهود: إن هذا النبى الأمى لم يأت بعد.

وأما عن زمان هذه المعركة: فإن أنبياء بنى إسرائيل قد حددوا زمنها بظهور محمد ﷺ. واليهود والمسيحيون جميعاً يقولون: إن هذه المعركة ستكون بعد ظهور «المسيح الرئيس» الذى هو النبى المماثل لموسى.

فالنبى دانيال يقول: إن المملكة الرومانية ستزول على يديه ﷺ وسيؤسس لله مملكة تضم الأخيار من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل. ويكون الاثنان شعبا واحداً. وأنه سيخرب أورشليم وسيدمر الهيكل. ويعطى شريعة جديدة. هى شريعة سلام. «سبعون

=

وهم يعلمون علم اليقين: أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لم يحارب ولم ينتصر. وأن الأزمنة التى حددتها النبوءات لظهور النبى الأمى قد تمت فى محمد صلى الله عليه وسلم أليس هو الذى أزال دولة الروم من الأرض، كما أنبأ دانيئال؟

الدينونة الأخيرة:

والدينونة ومعناها: القصاص والجزاء، تكون فى الدنيا، وتكون فى الآخرة.

والدينونة فى الدنيا تكون للفرد، وتكون للجماعة. فالدينونة على الفرد بسبب أعماله السيئة؛ أشار إليها داود عليه السلام فى المزمور الأول الآية الخامسة.

والدينونة على الجماعة أبرز مثال لها: ما حدث لبنى إسرائيل فى سبى بابل؛ فقد سلط الله عليهم الأمم الكافرة. بسبب أعمالهم السيئة. وأشار داود إلى دينونة على العالم الشرير، فى المزمور السادس والتسعين ١٣ والثامن والتسعين ٩ و٥٠.

وظهور النبى الأمى مع أصحابه الأخيار وحربهم للأشرار أهل الكتاب وانتصارهم عليهم هو دينونة. وقد نص الكتاب على ذلك فى قوله: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تباد من الشعب».

وفى القرآن الكريم عن هذه الدينونة: ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر. ما ظننتم أن يخرجوا. وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب﴾

يعنى بديارهم: أرض فلسطين. ويعنى بأول الحشر: أول لقاء بينه وبينهم فى شخص النبى والصحابة. وذلك لتأسيس الملكوت فى ديارهم وأرضهم.

ويعبر سفر أخنوخ عن القصاص والجزاء فى الحياة الآخرة بتعبير «الدينونة العادلة» ـ «يوم الدينونة العظيم» ـ «الدينونة الأخيرة» ـ «دينونة كل الأبدية» (١٠: و٦ و١٢ و١٦: ١ و١٩: ١ و٢٢: ٤ و١١ و٢٥: ٤ و٩٠: ٢٦ و٢٧.... إلخ). «فسيدان الملائكة الأشرار والناس الأشرار، ويلقى بهم فى جهنم، فى دينونة، لا نهاية لها» أ.هـ.

وفى أسفار الرؤى المتأخرة: نجد أن البعث من الأموات للدينونة الأخيرة ـ والمراد بالبعث: الحياة على الشريعة الجديدة ـ يكون بعد ظهور «المسيا» وهو النبى الأمى المماثل لموسى عليه السلام. أى أنه إذا ظهر النبى الأمى؛ تكون الساعة قد اقتربت. وذلك لأنه صاحب شريعة سيظهرها الله لجميع الأمم. وستدين بها الأمم. وحينما تدخل الأمم فى دينه. تتبدل الأرض غير الأرض، والسموات. كناية عن تبديل الشريعة.

ومنهم من حدد ملك المسيا بأربعمائة عام، ومنهم من يقول: إنه غير محدد المدة، ويضم فى ملكه الأمم المخلصين (الأقوال السبلينية ٣: ٦٩٨ ـ ٧٢٦ أخنوخ ٢٠: ٣٠ و٣٧ مع ٤٨: ٥ و٥٣: ١ ومزامير سليمان ١٧: ٣٢ ـ ٣٥)

أسبوعا قضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة؛ لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين» إلى أن قال: «وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس.... إلخ» (دا ٩: ١ ـ).

والنبى يوئيل يقول: «اضربوا بالبوق فى صهيون وصوتوا فى جبل قدسى. ليرتعد جميع سكان الأرض. لأن يوم الرب قادم لأنه قريب يوم ظلام وقتام. يوم غيم وضباب. مثل الفجر ممتدا على الجبال. شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون بعده إلى سنى دور فدور...» (يؤ ٢: ١ ـ).

والنبى إشعياء يقول: «ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال. ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة...» (إش ٢: ٢ ـ) وآخر الأيام هو مصطلح عند أهل الكتاب يدل على آخر أيام شريعة التوراة، وبدء أيام شريعة النبى الآتى على مثال موسى.

والنبى ملاخى يقول: إن «إيلياء» يسبق «يوم الرب» أى لا يأتى يوم الرب إلا إذا ظهر «إيلياء» وإيلياء هو اسم أحمد بحساب الجمل؛ فإن كلا منهما ثلاثة وخمسون. ويقول المسيحيون: إن إيلياء هو النبى يحيى عليه السلام على مذهب تناسخ الأرواح. وفى الإنجيل أن النبى يحيى ـ وهو المعروف بيوحنا المعمدان ـ نفى أنه إيلياء. وعلى نفيه هذا: يكون إيلياء آتيا من بعده. ولم يأت بعده إلا محمد رسول الله ﷺ ومن بعد محمد ﷺ حدثت معركة هرمجدون فى يوم الرب.

وهذا هو نص ملاخى:

«فهوذا يأتى اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلى الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتى قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً.

ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة. وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم يوم أفعل هذا قال رب الجنود.

اذكروا شريعة موسى عبدى الذى أمرته بها فى حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام.

هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجىء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن» (ملا ٤ : ١ ـ ٦).

وهذا هو النص الذى ينفى فيه يوحنا المعمدان عن نفسه أنه إيلياء:

«وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب: لا» (يو ١ : ١٩ ـ ٢١).

حجارة بَرَد من السماء

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم عن اليهود: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هذَا هُوَ الْحق من عندكَ فَأَمطر علينا حجارة مِّن السماء أَوِ ائْتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وسبب قولهم: هو أن الأمم فى زمان موسى عليه السلام كانوا يعبدون الأوثان، وأن الله أمر بنى إسرائيل بمحاربة الأمم الوثنية وذلك ليعبدوا الله على شريعة التوراة، ولا يشركوا به شيئاً. ووعدهم بالنصر على أعدائهم بواسطة «ملاك» يحارب معهم. وأمرهم بقوله: «لا تصنعوا لكم أوثاناً، ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتاً أو نَصَبا، ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا؛ لتسجدوا له» (لا ٢٦ :١).

وهذا هو النص على الملاك: «فإن ملاكى يسير أمامك، ويجىء بك إلى الأموريين والحثِّيين والفِرزِّيين والكنعانيين والحوّيين واليبوسيّين؛ فأبيدهم. لا تسجد لآلهتهم، ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم. بل تبيدهم وتكسّر أنصابهم» (خر ٢٣ : ٢٣ ـ).

فلما سار بنو إسرائيل أمام الله، وحاربوا حروب الرب للتمكين لشريعته على الأرض؛ نصرهم على أعدائهم بواسطة «ملاكه» الموكل بالسير أمام جيوشهم الغازية فى سبيل الله. وقد سجلت التوراة أن الله حارب عن إسرائيل. أى نصرهم على أعدائهم، وأن النصر فى معركة من المعارك كان بإلقاء حجارة عظيمة من السماء. والحجارة هى حجارة من الثلج والبرد.

فلما ظهر محمد ﷺ وقد كانوا فى أيام ظهوره يعبدون أوثانا ويخلقون إفكا؛ وهددهم بالهلاك فى يوم الرب. استهزأوا به وبالله الذى أرسله. وقالوا لله: إنك تريد أن تهلكنا على يديه كما أهلكت الكافرين بموسى من بعد موته على يد يشوع بن نون وأصحابه. إنك قد أهلكتهم بحجارة عظيمة من السماء فى أيام يشوع فتى موسى ووصيه. فأهلكنا بنفس الطريقة إن كان محمد صادقاً فى دعوى النبوة أو ائتنا بعذاب أليم.

ففى الأصحاح العاشر من سفر يشوع:

«فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأنى بيدك قد أسلمتهم. لا يقف رجل منهم بوجهك. فأتى إليهم يشوع بغتة. صعد الليل كله من الجلجال. فأزعجهم الرب أمام إسرائيل. وضربهم ضربة عظيمة فى جبعون وطردهم فى طريق عقبة بيت حورون وضربهم إلى عزيقة وإلى مقيدة. وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم فى منحدر بيت حورون. رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف.

حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومى على جبعون ويا قمر على وادى أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً فى سفر ياشر؟ فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان؛ لأن الرب حارب عن إسرائيل» (يش ١٠: ٨ ـ ١٤).

معركة ١٩٦٧م

وفى القرآن الكريم: أن بنى إسرائيل سيفسدون وسيعلون علوا كبيرا من بعد نزول القرآن، فى أرض فلسطين؛ مرتين. وأن هذا الخبر مذكور فى التوراة. وحقا هو مذكور فى التوراة فى الأصحاح الثامن من سفر دانيال. وفيه أن الإفساد والعلو يتمان بعد ٢٣٠٠ سنة. وقد كان الاسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق.م ولو طرحنا ٣٣٣ من ٢٣٠٠ يكون الباقى ١٩٦٧.

ولن يلبث اليهود من بعد الانتصار إلا مدة قليلة. ولأن اليهود والمسيحيين يعرفون ذلك، ويعرفون أنهم لن ينقطع عنهم العذاب مدة الفساد والعلو من أصحاب الأرض: ابتدأوا فى الهجرة من أرض فلسطين؛ لينأوا عن القتل والرعب والفزع. فلما رأى ذلك منهم إخوتهم فى أمريكا وغيرها؛ احتالوا على إبقائهم فى فلسطين، بقولهم: إننا فى هذه الأيام نحيا على مجىء زمان معركة هرمجدون. فإن فيها سينتصر شعب الله على المسلمين، وسيظهر «المسيح الرئيس» وعلى يديه نملك على العالم. وحببوا إلى إخوتهم الهجرة إلى فلسطين: ليملأوها.

وعلماؤهم يعرفون ذلك. ولكنهم يخافون من التصريح به؛ لئلا يعذبهم الموساد الإسرائيلى والأمميون.

وعلى ما قدمنا:

تكون معركة هرمجدون Armageddon هى موقعة اليارموك التى حدثت بين المسلمين وبين اليهود وشركائهم فى أرض فلسطين فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ٦٣٨م والأيام التى حدثت فيها هذه المعركة؛ هى المعروفة فى التوراة والإنجيل والقرآن بيوم الرب العظيم. وما يحدث الآن فى هذا الزمان فى أرض فلسطين؛ فليس له علاقة من قريب أو من بعيد بمعركة هرمجدون. وهو المرة الأولى من مرتى الفساد والعلو فى أرض فلسطين مرتين. وعما قريب سيسلم اليهود الإدارة والحكم وجميع المصالح الحكومية فى فلسطين إلى المسيحيين، وسيخرجون من فلسطين إلى حيث أتوا. وسيبدأ عصر صليبى جديد بين المسلمين وبين المسيحيين. ثم تكون فلسطين خالصة للمسلمين.

والله أعلم.

المسيح المنتظر

هو نفسه «المَسِيّا المنتظر» و«المُهدِى المنتظر» ففى إنجيل يوحنا:

«فقالت له المرأة: إنى أعلم أن المسيا. الذى يُدعى المسيح؛ سيأتى. ومتى جاء؛ فهو يُعلن لنا كل شىء».

The woman said I know that Messiah called Christ is coming when he come he will explain every thing to us.

وفى التوراة أن الله سيرسل نبيا مثل موسى يكلمهم بكل ما يوصيه الله. ذلك قوله: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أُطالبه» (تث ١٨: ١٨ ـ ١٩).

وهذا النبى الأمى الذى جعل الله كلامه فى فمه؛ قد لقّبه اليهود بلقب «المسيح الرئيس» أو «المسيا الرئيس» وهو محمد ﷺ بحسب لسانهم. ومفسرو التوراة قد فسروا «أقيم لهم نبيا» بأن هذا النبى هو «المسيح» أو «المسيا» أى المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة. ففى تفسير الكتاب المقدس: «يعلن موسى إعلانا نبويا مَسيّانيا عن النبى الذى سيأتى، الذى سيخلفه فى وظيفته كنبى».

وظل بنو إسرائيل ينتظرون هذا النبى إلى زمان يحيى وعيسى عليهما السلام وكان العبرانيون منهم يزعمون أنه سيأتى من نسل داود عليه السلام من سبط يهوذا، وكان السامريون منهم يزعمون أنه سيأتى من نسل أفرايم من سبط يوسف عليه السلام. وقد بين لهم عيسى عليه السلام أنه لن يظهر فى بنى إسرائيل؛ لأن العهد قد صُنع بإسماعيل عليه السلام ولأن داود فى المزمور المئة والعاشر قال: إنه سيده. والابن لا يكون سيدا لأبيه.

ففى إنجيل متى: «وفيما كان الفَرِّيسيون مجتمعين. سألهم يسوع، قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلاً: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟» فإن كان داود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة» (مت ٢٢: ٤١ ـ ٤٦).

وفى مرقس: «ثم أجاب يسوع وقال فى الهيكل: كيف يقول الكتبة: إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك

موطئاً لقدميك» فداود نفسه يدعوه ربا، فمن أين هو ابنه؟ وكان الجمع يسمعه بسرور» (مر ١٢: ٣٥ ـ ٣٧).

وفى لوقا: «وقال لهم: كيف يقولون: إن المسيح ابن داود؟ وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» فإذاً داود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟» (لو ٢٠: ٤١ ـ ٤٣).

وفى إنجيل برنابا: «أجاب يعقوب: يا معلم. قل لنا بمن صنع هذا العهد فإن اليهود يقولون بإسحق. والإسماعيليون يقولون بإسماعيل؟ أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق. لأن إسحق كان أبا يعقوب، ويعقوب كان أبا يهوذا. الذى من ذريته داود. فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم؟ لأن داود يدعوه فى الروح ربا قائلاً هكذا: «قال الله لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مَسِيّا ابن داود، فكيف يسميه داود رباً؟ صدقونى لأنى أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحق... إلخ» (بر ٤٣ و٤٤).

والمعنى: أن داود ـ عليه السلام ـ عبر عن المسيا المنتظر بأنه (سيده) وبناء على قوله إنه سيده، لا يكون المسيا الذى هو المسيح من نسل داود، لأن الابن مهما علا قدره؛ لا يكون سيدا لأبيه.

●●

وعقب إفحام عيسى ـ عليه السلام ـ لعلماء بنى إسرائيل العبرانيين (الفَرِّيسيين) وجه خطابا إلى بنى إسرائيل وإلى أتباعه، بين لهم فيه: أن يعملوا بشريعة موسى حتى يظهر المسيا المسيح ـ الذى قلنا: إنه محمد ﷺ بحسب لسان بنى إسرائيل ـ وأن لا يكونوا معلمين لشريعة موسى إذا ما ظهر المسيح بتعاليمه وعلم بها، ويعلمون بما يعلمه لهم هذا النبى المسيح مع إيمانهم بما جاء به. فقد روى متى: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه

قـائلاً: على كـرسىّ مـوسى جلس الكتـبـة والفـريسـيُّون. فكل مـا قـالوا لكم أن تحـفظوه فـاحـفظوه وافـعلوه. ولكن حـسب أعـمـالهم لا تعـملوا، لأنهم يقـولون ولا يفـعلون. فـإنهم يحـزمـون أحـمـالاً ثقيلة عسـرة الحـمل ويضـعـونهـا على أكـتـاف النـاس وهم لا يريدون أن يحـركوها بإصبعهم. وكل أعمـالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس. فيعـرضون عصـائبهم ويعظمـون أهداب ثيابهم. ويحبـون المتكأ الأول فى الولائم، والمجـالس الأولى فى المجـامع، والتحيات فى الأسواق. وأن يدعوهم النـاس: سيدى. سيدى. وأما أنتم فلا تدعوا سـيدى. لأن مـعلمكم واحـد: المسيح. وأنتم جـمـيعـاً إخوة. ولا تدعـوا مـعلمـين. لأن مـعلمكم واحـد: المسيح. وأكبركم يكون خادمـاً لكم. فمن يرفع نفسـه يتضـع، ومن يضـع نفسـه يرتفع» (متى ٢٣: ١ ـ ١٢).

وفى نهاية الخطاب يقول عيسى ـ عليه السلام ـ: إن ملك بنى إسرائيل وشريعتهم إلى الزوال إذا جـاء المبـارك باسم الرب، وهـو المسيـا المنتظر. يقـول ـ عليه السلام ـ: «يـا أورشليم. يا أورشليم. يا قـاتلة الأنبيـاء وراجـمـة المرسلين إليهـا. كم مـرة أردت أن أجـمع أولادك كمـا تجـمع الدجـاجـة فـراخـهـا تحت جناحيهـا. ولم تريدوا. هوذا بيتكم يتـرك لـكم خـرابا. لأنى أقـول لكم: إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتى باسم الرب»[1] (متى ٢٣: ٣٧ ـ ٣٩).

---

(١) مبـارك الآتى باسم الرب: عبارة قالها داود عليه السلام عن محمد ﷺ فى المزمور ١١٨ والمسيح عسى عليه السلام استدل بهذا المزمور، وقـال لعلماء اليهود: إنكم لا ترونى من الآن حتى تقولوا: مبـارك الآتى باسم الرب. وربط الذبيحة إلى قرون المذبح: هو إشارة إلى نسخ التوراة. ونص المزمور ١١٨:

«احمدوا الرب؛ لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته. ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته. ليقل بيت هرون: إن إلى الأبد رحمته. ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته. من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب. الرب لى: فلا أخاف.

ماذا يصنع بى الإنسان؟ الرب لى بين معينى، وأنا سأرى بأعدائى. الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان. الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء. كل الأمم أحاطوا بى. باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بى واكتنفونى. باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بى مثل النحل. انطفأوا كنار الشوك. باسم الرب أبيدهم. دحرتنى دحورا لأسقط. أما الرب فعضدنى. قوتى وترنمى الرب، وقد صار لى خلاصا. صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين. يمين الرب صانعة ببأس. لا أموت بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب. تأديبا أدبنى الرب، وإلى الموت لم يسلمنى.

افتحو لى أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا البـاب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لى، وصرت لى خلاصا. الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا. وهو عجيب فى أعيننا.

واليهود والمسيحيون الذين كفروا بمحمد ﷺ إلى هذا اليوم ينتظرون «المسيح الرئيس» الذى هو «المَسِيّا الرئيس» الذى هو محمد ﷺ ويقول المسيحيون: إنه هو عيسى وسوف يأتى مرة أخرى لتتم فيه النبوءات. أما اليهود فيقولون: إنه إلى هذا اليوم لم يظهر.

وفى كتاب محمد واليهود ـ ترجمة: محمود على مراد ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ما نصه:

«إن الصدام الفعلى بين المسلمين واليهود؛ لم يحدث والرسول ﷺ على قيد الحياة وإنما حدث فى فترة لاحقة. وكتاب السيرة ورواة المغازى ومفسرو القرآن وجامعو الحديث قرءوا «العهد القديم» وكتابات اليهود واعتبروا أن الرسول ﷺ هو المقصود بكل ما وجدوه مناسبا فيها من إرهاصات. وقد زادت الحركات المَسِيَّانية بين اليهود من الخلط فى الموقف. لقد تركز أمل اليهود الدائم فى جالوت حول مجىء ملك من بيت داود يتبوأ الحكم فى عصر ذهبى جديد. وكان وصف «المسيح» المشتق من كلمة «مَشِيّاح»، التى تعنى الممسوح بالزيت، فى التاريخ اليهودى ينطبق على الملك الذى يختاره الله، والذى طال انتظاره والذى «يدعى اسمه عجيبا.. رئيس السلام» الذى سيقضى على أعداء إسرائيل والذى طال انتظاره والذى ينشىء حكما يسوده السلم والرخاء أشبه بالجنة.

وقد اتخذ الأمل المَسِيّانى عدة صور وأشكال، وكان عاملا نضاليا فى تاريخ اليهود. وبفضل هذا الأمل ظل اليهود معلقين بسحر المملكة اليهودية التى يؤمنون بأنها ستتحقق من خلال الإرادة الإلهية. ولم يكن الأمل فى قدوم هذا «المسيح» من شروط الإيمان فحسب عند اليهود، بل كان ضرورة معنوية وعاطفية فى أوقات الشدة والكرب.

ومن العناصر الأساسية فى المَسِيّانية اليهودية؛ توقع أوجاع حَمْل المسيح[1] (هيفلى ماشياح) التى تتخذ شكل فترة من الاضطرابات والمحن تسبق ظهوره. ومن هنا فإن

=

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب. نبتهج ونفرح فيه. آه يارب خلّص. آه يارب أنقذ. مبارك الآتى باسم الرب. باركناكم من بيت الرب. الرب هو الله وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح. إلهى أنت فأحمدك. إلهى فأرفعك. احمدوا الرب؛ لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته» (مزمور ١١٨)

الفترات التى نكل فيها باليهود كانت أيضاً فترات من التربص والحركات المَسِيّانية المتقدة.

إن ترقب اليهود لمجيء، واحد يشبه «ابن الإنسان» يؤتى الملك والمجد والملكوت وتعن له جباه كل الشعوب والأمم واللغات؛ لم يكف أبدا «وكثير من الوطنيين اليهود الذين قاتلوا فى الثورة العظمى ضد روما (سنة ٦٦/ ٧٠م) كانوا يؤمنون بأنهم يخوضون معركة من المفروض أن تتمخض عن مجيء «المسيح» وفى الإمكان فهم بطولتهم المستميتة أثناء هذه الثورة إذا نظر إليها فى سياق الحركة المَسِيّانية. وقد تأثرت الثورة اليهودية ضد الإمبراطور «تراجان» فى السنوات ١١٥ ـ ١١٧ وثورة «باركوخبا» فى السنوات ١٣٢ ـ ١٣٥م بالتوقعات المسيانية.

وفى القرن الخامس ظهر فى جزيرة كريت يهودى ادعى أنه موسى عليه السلام ووعد يهود الجزيرة بأن يأخذهم إلى يهوذا[١]. دون استخدام مراكب وحدد تاريخا للمعجزة. وتجمع اليهود فى الموعد المحدد؛ فأمرهم بالقفز فى البحر ولقى عديد من هؤلاء اليهود السذج حتفهم غرقا.

وخلال القرن السادس أثار النزاع المستمر بين امبراطورية بيزنطة والامبراطورية الساسانية توقعات مَسِيّانية. من المحتمل أنها لعبت دورا كبيرا فى تشكيل صورة اليهودية العربية. وكان «زَرُوبّابل» وهو حفيد الملك «جيهوى أشين» وقتها زعيما ليهود المنفى الذين عادوا من بابل إلى يهودا بموافقة كسرى. وعين زروبابل فى ظل حكم الملك «داريوس» الأول فى سنة ٥٢١ ق.م حاكما ليهوذا. وكان آخر حكامها من بيت داود. ويتحدث «كتاب زروبابل» الذى كتب فى زمنه، والذى قيل: إنه وُجد منقوشا على الحجر، عن رؤى رآها زروبابل عن ظهور «المسيح».

وقد ألفت أعمال كثيرة عن الآمال المسيّانية التى نشأت عن كتاب زروبابل.

●●

---

(١) يقصد بيهوذا: فلسطين.

وتقول دائرة معارف «جودايكا»:

«رغم أن من الصعب تحديد تواريخ مختلف الأعمال التى يتكون منها هذا الأدب المَسِيّانى: فلا يستبعد أن يكون بعضها سابقا حتى على كتاب زرُوبّابل.. وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على اليهود فى العصور الوسطى».

وحتى بداية القرن السادس حكمت اليمن أسرتان ملكيتان. متهودتان على الأقل. وسكن فى الجزيرة العربية يهود كثيرون. ومن المرجح أن تكون الآمال المسيانية قد ثبتت أفئدة الشعب العربى اليهودى أثناء تدمير مملكة حمير وما تبعها من اضمحلال لمركزهم. والإشارات المختلفة التى ساقها ابن إسحق للنبوءات اليهودية المتعلقة ببعثة «نبى» قد تكون نتيجة لقراءة مختلفة لبعض الكتابات اليهودية المسيانية. وكان ابن إسحق وعلماء المسلمين الذين جاءوا من بعده يظنون أن اليهود الذين تنبأ أحبارهم بمبعث نبى كانوا فى حقيقة الأمر ينتظرون مبعث محمد، وأنهم حين أعلن محمد نبوته؛ جحدوا هذه النبوة عامدين. ولكن يهود الحجاز فيما يبدو لم يروا أية آية، ولم يشهدوا تحقق أية نبوءة. وقد ذكر سلام بن مشكم من بنى النضير لمعاذ بن جبل أنه ـ أى الرسول ﷺ ـ «ما جاءنا بشىء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكره».

لقد كانت لغة الحديث ومادته بين الرسول ﷺ واليهود لغة ومادة دينيتين دون جدال. لكن الاختلافات الأيديولوجية لا تكفى وحدها، مهما بلغ من تعارضها، لتبرير أنماط السلوك السلبية. على أن هذه الاختلافات، كما تقول «أليس ريفكين»، «قد تصبح حيوية إذا حدث انهيار أو أزمة أو ضغوط هيكلية كتدهور فى الأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية». ولا يصبح النزاع الدينى سببا للتقاتل إلا إذا كانت له أوجه اجتماعية وسياسية واقتصادية»[1]. أ هـ.

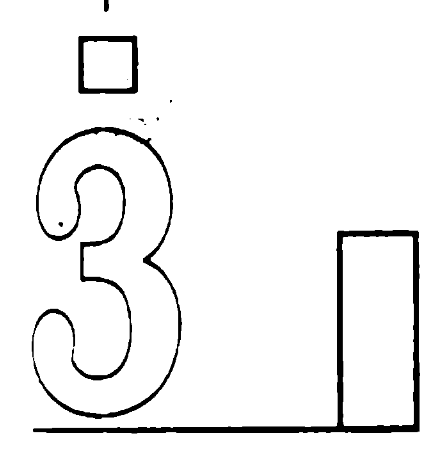
■■■

---

(١) ص٢٠٣ ـ ٢٠٥ محمد واليهود ـ طبعة القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب.

الفصل الثالث

اليورو وتاريخ الإمبراطورية الرومانية



فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى:

«فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رءوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة تيجان وعلى رءوسه اسم تجديف.. وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً» (رؤيا ١٣: ١ ـ ٢)



حدث خطير يعنى الكثير:

شهد العالم فى يناير ١٩٩٩ ميلاد عملة جديدة، هى اليورو، ليكون هو العملة الرسمية الوحيدة لأوروبا الموحدة، على أن يتم طرحه لتداول رجل الشارع فى يناير ٢٠٠٢. وربما لا يعنى هذا الحدث للإنسان العادى أكثر من مجرد عملة تُضاف لبقية العملات الموجودة فى العالم، إلا أن المحللين الاقتصاديين والسياسيين يعطون له أهمية شديدة، وينتظرونه بحيطة وحذر، وبتوجس الذى لا يعلم إلى أين المصير؛ ذلك لما سيكون لهذا الحدث من آثار وتوابع قد تشمل العالم كله على صعيديه: الاقتصادى والسياسى.

أما بالنسبة لنا نحن أولاد الله المتغربين فى هذا العالم، فهذا الحدث يعنى الكثير، بل والكثير جداً؛ فهو من جهة يؤكد لنا صدق كل كلمة من نبوة الكتاب المقدس، ومن جهة أخرى يملأ قلوبنا فرحاً إذ نزداد اقتناعاً بقرب مجىء الرب.

ماذا يعنى اليورو؟

أن تصل دول أوروبا فى داخل الاتحاد الأوروبى لاتفاق واتحاد سياسى كامل، ثم اتحاد جغرافى بحيث تُلغى الحدود تماماً بين دول الاتحاد، ثم اتحاد كامل بين المؤسسات الاقتصادية الضخمة، وأن يصلوا إلى بنك واحد هو البنك المركزى الأوروبى، وبرلمان واحد هو البرلمان الأوروبى، وأخيراً تصل الوحدة إلى رجل الشارع، فيتداول جميع أفراد الشعب عملة واحدة: هذا يعنى وصول الوحدة إلى مستوى غير مسبوق فى تاريخ البشرية، ويعنى ظهور إمبراطورية جديدة تفوق فى إمكانياتها الاقتصادية وثقلها

السياسى والعسكرى أى دولة فى العالم المعاصر أو إمبراطورية فى تاريخ البشرية السابق.

ماذا يعنى لنا أن تظهر فى أوروبا إمبراطورية جديدة؟

فى الحقيقة يعنى لنا الكثير جداً جداً.

فمنذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة، فى القرن السادس قبل الميلاد، كانت إسرائيل كمملكة قد انتهت عندما سحقها نبوخذ نصر ملك بابل (العراق الآن) وسبى أهلها، وتضخمت المملكة البابلية تحت زعامته حتى صارت إمبراطورية ضخمة حكمت أجزاء كثيرة من العالم القديم.

فى ذلك الوقت، كان هناك شاب تقى، هو دانيآل النبى، أحب الرب من كل قلبه. وأحبه الرب جداً فكشف له بصورة معجزية التاريخ السياسى للعالم: من وقته وحتى مجىء المسيح الثانى، الذى فيه سيقيم مملكته التى لن تنقرض.

والتاريخ السياسى للبشرية منذ القرن السادس ق.م. وحتى مجىء المسيح يتلخص فى أربع نقاط (دانيال: ٢: ٣٢ ـ ٤٥؛ ٧: ٣ ـ ١٢، ١٩ ـ ٢٨):

أولاً: أن المملكة البابلية ستسود سيادة دكتاتورية مطلقة، وتستمر حاكمة، حتى تسقط بيد مملكة ثانية مكوَّنة من اتحاد بين مادى وفارس.

ثانياً: تسود المملكة الفارسية على مساحة أكبر من العالم، ولمدة أطول، إلا أنها فى النهاية تسقط بيد ملك من اليونان (دانيآل ٨: ٢١) هو الإسكندر الأكبر كما نعلم من التاريخ.

ثالثاً: يسود الإسكندر بسرعة، وتتكون إمبراطوريته اليونانية فى سنوات قليلة، وتسود على معظم بلدان العالم القديم. إلا أنه ينكسر سريعاً أيضاً، ويقتسم إمبراطوريته الواسعة أربعة ملوك (دانيآل ٨: ٢٢) إلا أنهم ليسوا فى قوته.

رابعاً: أخر الكل تقوم إمبراطورية رابعة تتميز بالآتى:

١ ـ مخالفة لكل ما سبقها، وأقوى من كل ما سبقها؛ وهى كما نعلم من الكتاب ومن التاريخ: الإمبراطورية الرومانية.

٢ ـ فى بدايتها يُشار إليها بساقين من حديد، إشارة إلى أنها شرقية وغربية.

٣ ـ فى نهايتها تكون عبارة عن مملكة واحدة يرأسها عشرة ملوك، ومشار إليها فى نبوة دانيآل الأصحاح الثانى بأصابع عشرة، هى أصابع قدمى التمثال الشهير الذى رآه نبوخذ نصر فى حلمه، والذى فسرّه له دانيآل. كما يشار إليها فى نفس النبوة بقرون عشرة، هى قرون هذا الحيوان الذى رآه دانيآل فى رؤياه هو شخصياً، والتى سجلها لنا مع تفسيرها فى الأصحاح السابع، وفيها يصف لنا هذا الحيوان ذا العشرة القرون فيقول عنه إنه «هائل وقوى وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة أكل وسحق وداس الباقى برجليه وكان مخالفاً لكل الحيوانات التى قبله وله عشرة قرون» (دانيآل ٢: ٤٠ ـ ٤٣؛ ٧: ٧، ٢٤).

٤ ـ فى زمن هذه الإمبراطورية يأتى المسيح ويُقطع (بالصليب ـ دانيآل ٩: ٢٦). ثم فى زمنها أيضاً، بعد عودتها للحياة، يظهر الرب يسوع ويسحق هذه الإمبراطورية ويقيم مملكته التى لا تنقرض (دانيآل ٢: ٤٤؛ ٧: ٢٢).

ومن سفر الرؤيا يمكننا أن نعرف المزيد عن هذه الإمبراطورية:

٥ ـ فى سفر الرؤيا وفى الأصحاح الثالث عشر، يصف لنا الرسول الوضع السياسى فى نهاية الأيام، فيخبرنا أن الإمبراطورية التى ستسود على العالم فى نهاية الأيام هى عبارة عن وحش له عشرة قرون، ويفسر الرسول هذه القرون العشرة، فى رؤيا ١٧: ١٢، بأنهم عشرة ملوك، أى أنها إمبراطورية ضخمة مكونة من اتحاد ممالك عديدة تحت رئاسة عشرة ملوك، يرأسهم شخصية رهيبة؛ ولفظاعته يلقب هو أيضاً بالوحش.

٦ ـ يؤكد سفر الرؤيا أن هذا الوحش، وهو الإمبراطورية الرومانية، جُرِح بجرح مميت فى أحد رءوسه، وهو أحد أطوار الإمبراطورية، بحيث ظن الناس أنها ماتت ولن تعود لها قائمة مرة أخرى، إلا أنهم سيتعجبون فى نهاية الأيام (رؤيا ١٣: ٣) عندما يرون الإمبراطورية قد عادت بكل قوتها، إلا أنها فى صورة عشرة قرون على الرأس الأخير، أى الشكل الأخير الذى ستأخذه الإمبراطورية، وهذا يعنى أنها ستكون قائمة على اتحاد فيدرالى بين أعضائها يرأسه عشرة ملوك.

هذا ما أعلنته كلمة الله بصفة عامة، منذ أكثر من ألفى عام، عن التاريخ السياسى للعالم حتى مجىء المسيح الثانى ليقيم مملكته. وهذا ما أعلنته بصفة خاصة عن هذه الإمبراطورية الأخيرة.

والآن نحتاج أن نرجع للتاريخ لنرى تطابقه مع ما سبقت وأعلنته كلمة الله، ولاسيما من جهة بداية هذه الإمبراطورية، ثم موتها، ثم عودتها للحياة فى الأيام الأخيرة.

ماذا يقول التاريخ عن الإمبراطورية الرومانية؟

أعتقد أنى لا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لا توجد إمبراطورية، أو دولة، أو حدث، شغل المؤرخين ودوائر المعارف المشهورة مثلما فعلت الإمبراطورية الرومانية. بل حتى الأدباء، وكُتَّاب التراجم الشخصية، ومؤرخو المعارك الحربية، ومحللو النظم السياسية، وجدوا مجالاً واسعاً وتربة خصبة فى تاريخ هذه الإمبراطورية الرهيبة لأعمال فكرية وأدبية كثيرة. ولسنا هنا بصدد سرد تاريخها، فهذا ليس فى طاقتنا، ولا هو غرضنا؛ لكننا سنتوقف فقط عند أربعة أسئلة، أجيب عن الثلاثة الأول منها باختصار ثم نطيل وقفتنا عند الرابع، إذ هو هدفنا.

١ - كيف وُلدت الإمبراطورية الرومانية؟

فى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد بدأت إحدى القرى الواقعة على نهر التيبر فى النمو السريع اقتصادياً، وكان ذلك يرجع لموقعها الجغرافى، إذ أنها فى قلب سهول أواسط إيطاليا. كما كان نهر التيبر يصلها مباشرة بالبحر، مما جعلها مكاناً مناسباً لتجارة ومقايضة الخيول. وكانت تحيط بتلك القرية الصغيرة تلال سبعة تنهض على ضفاف النهر، كانت هذه التلال بمثابة الملجأ الآمن الذى يحتمى به أهالى القرية من غائلة أعدائهم الذين كانوا يقطنون الجبال أو الذين كانوا يعيشون فيما وراء أفق البحر المجاور. ولقد وصلت سفن الإغريق، المتقدمين حضارياً فى ذاك الزمان، إلى سواحل إيطاليا وعرفوا طريقهم لتلك القرية؛ والتى هى روما، فتعلم سكان روما من الإغريق الكثير، وتحضروا مثلهم، بل إنهم عبدوا إلههم «زيوس» بعد أن أسموه «جوبيتر»، إلا أنهم

تميزوا عن الإغريق بأنهم كانوا رجال عمل، لا يضيعون وقتاً فى المناقشات والكلام الكثير والخيال الأدبى، الأمور التى كان يعشقها اليونانيون أجمعون (أعمال ١٧: ٢٠، ٢١). والبعض يحدد تاريخ ميلاد روما بسنة ٧٥٣ق.م.

٢ ـ كيف نمت روما وصارت إمبراطورية؟

بينما يرجع تاريخ ولادة روما كمدينة إلى سنة ٧٥٣ق.م، فإن تاريخ ميلادها كإمبراطورية يرجع تقريباً إلى عام ١٤ق.م، وهكذا يتضح أمام القارىء العزيز أن روما لم تصبح إمبراطورية فجأة، ولم تصبح إمبراطورية بتخطيط من رجل أو عدة رجال، مثلما حدث مع ما قبلها من إمبراطوريات؛ بل نمت اقتصادياً، وحاربت كثيراً، واستولت على بلاد كثيرة، حتى صارت إمبراطورية الإسكندر بكل مجدها إحدى ولاياتها فى يوم من الأيام. ولقد جربت روما أنظمة كثيرة من الحكم قبل أن تصبح إمبراطورية، فبدأت بالملوك الأتروسيكان، ثم أعلنت الجمهورية، ثم نظام القناصل حيث يُنتخب قنصلان كل سنة، ثم النظام الدكتاتورى حيث أقاموا بومبيوس دكتاتوراً مدى الحياة سنة ٦٢ق.م. وغيرها من نظم الحكم كان آخرها النظام الإمبراطورى الذى بدأه يوليوس قيصر، والذى مُنح لقب إمبراطور سنة ٤٨ق.م. لكن لم ترسخ دعائم هذا النظام الإمبراطورى الجديد إلا على يدى خلفه أغسطس حوالى سنة ١٤ق.م.

ولقد علّق على هذا أحد المؤرخين المشهورين «د. هاندريك فان لون» فقال: «قامت الإمبراطورية الرومانية اتفاقاً، فلم يدبر قيامها أحد، فلم يهب قائد مشهور أو سياسى ناجح قائلاً: أيها المواطنون: ينبغى لنا أن نقيم إمبراطورية، فاتبعونى وسنغزو معاً جميع البلاد من أبواب هرقل حتى جبال طوروس».

وهكذا يتضح لقارئى العزيز أن اليد الإلهية، التى تعمل من وراء الستار لتشكل الدهور والأزمنة وتتحكم فى أزمنة الأمم، ضبطت الإيقاع حتى تصبح روما إمبراطورية قبيل وصول المسيح بسنوات قليلة (١٤ سنة)، لتُعدّها لأخطر حدث فى تاريخ البشرية، تجسد ابن الله. **وهكذا سنرى أيضاً أن ذات اليد تضبط الآن إيقاع الأحداث من جهة عودة هذه**

الإمبراطورية للحياة، لتعِدّها من جديد لمجيء المسيح الثانى. وكما أبغضت الإمبراطورية المسيح فى مجيئه الأول وصلبته، ستبغضه أيضاً فى مجيئه الثانى وترفع ضده كل أسلحتها وتحاربه. لكن الاختلاف الكبير هو أن المسيح جاء فى المرة الأولى فى ثياب الاتضاع، لذا حكمت عليه بالظلم وصلبته، أما قريباً فسيأتيها فى ثياب المجد والقوة وسيحكم هو بالعدل عليها، وسيبيدها ويلقى رئيسها حياً فى بحيرة النار والكبريت.

٣ـ كيف جُرحت الإمبراطورية جرحها المميت:

«ورأيت واحداً من رءوسه كأنه مذبوح للموت» (رؤيا ١٣ : ٣).

يقول المؤرخ المشهور د. هاندريك فان لون فى كتابه الشيق «قصة الجنس البشرى» من منشورات وزارة الثقافة سنة ١٩٥٧ وترجمة الأستاذ أحمد الشناوى:

«تذكر كتب التاريخ أن روما سقطت سنة ٤٧٦م، لأن هذه هى السنة التى أطيح فيها بعرش آخر أباطرتها، على أن روما التى لم تبن فى يوم واحد، قد استغرق سقوطها وقتاً طويلاً؛ فقد جاء هذا الانحلال بطيئاً غاية البطء متدرجاً غاية التدرج، حتى أن معظم الرومان لم يدركوا كيف أخذ عالمهم القديم يسير إلى هذه النهاية».

فلقد تدهورت الأحوال الاقتصادية جداً، وزاد تذمر الشعب المطحون، فى الوقت الذى فيه كان البرابرة يطرقون أبواب الحدود الشمالية للإمبراطورية، ولم يكن عند الدولة فى ذلك الوقت جيش قوى يصدّ غاراتهم؛ فاعتمدت على الجنود المرتزقة، والذين كانوا أحياناً من العدو نفسه، وأدى هذا إلى سكن بعض القبائل البربرية فى داخل الإمبراطورية، وصارت روما مكاناً غير لائق بسكن الإمبراطور، فقرر قسطنطين (حكم من ٣٢٣ ـ ٣٣٧م) أن ينقل مقر حكمه إلى الشرق، إلى بيزنطة، والتى دعاها القسطنطينية، ولما مات اقتسم ولداه الإمبراطورية؛ فظل الأكبر فى روما وحكم الغرب، وأقام الأصغر فى القسطنطينية وحكم الشرق. بعد هذا تعرضت روما الضعيفة لجميع أنواع الغزوات من مختلف الأجناس، فغزاها القوط الشرقيون، ثم الألمان، ثم الفرنجة، وغيرهم. وأخيراً تمكن «أدكور» عام ٤٧٦م، وهو قائد فرقة من المرتزقة الألمان، من إزاحة

الإمبراطور «رمولوس أغسطولوس»، ونادى بنفسه حاكماً على روما، وما يدعو للعجب أن الإمبراطور الرومانى الشرقى قد بايعه.

أعتقد أن هذا هو الجرح المميت الذى يذكره الكتاب فى رؤيا ١٣: ٣.

لكن السؤال المهم: هل ماتت الإمبراطورية عندئذ تماماً؟ والإجابة التى يمكننى استنتاجها من دراسة التاريخ هى: كلا لم تمت. هى فقط قد جُرحت، ونزفت، وظلت قروناً عديدة فى عداد الأموات، وهذا ما تؤكده أيضاً كلمة الله إذ يقول الرائى «كأنه مذبوح للموت» أى أنه لم يمت، وهكذا كانت الإمبراطورية كأنها ميتة، وبجرحها عاشت منتظرة الوقت المعين من الله غير المنظور ـ والذى يشكل الدهور والأزمنة المنظورة طبقاً لكلمته الحاسمة ـ الوقت الذى فيه تُشفى من جرحها المميت فتعود للحياة، لتلعب دورها الأخير على مسرح الحياة، وتنال أيضاً قضاءها المريع على يدى الذى صلبته من ألفى عام.

٤ ـ كيف يشفى الجرح المميت؟ وكيف تعود الإمبراطورية للحياة؟

■■■



شفاء الجرح المميت:

«ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت، وجرحه المميت قد شُفى» (رؤيا ١٣: ٣).

يمكننى أن أقسم حديثى هنا إلى قسمين، فأذكر فى القسم الأول بعض المحاولات الفاشلة لشفاء الجرح المميت، وفى القسم الثانى سأذكر المحاولة الأخيرة الناجحة.



أولاً: محاولات فاشلة

كما ذكرت من قبل لم تمت الإمبراطورية ويتحلل جسدها وتنتهى تماماً كما انتهت إمبراطوريات أخرى من قبل، صحيح جرحت جرحاً مميتاً كما قال الكتاب، إلا أنه على مدار ١٥٠٠ عام تقريباً لم تتوقف محاولات شفاء الجرح وإعادة الحياة لهذا الجسد الطريح الممزق.

١ ـ كانت أهم وأطول وأقوى هذه المحاولات هى البابوية الرومانية نفسها، فما أن كادت روما تضيع كمقر للعرش الإمبراطورى على يد البرابرة، حتى ابتدأ أساقفة روما فى محاولة فرض سيطرتهم على ربوع الإمبراطورية. واستمرت هذه المحاولات، تارة تنجح وتارة تفشل، حوالى مائة سنة. حتى تهيأ المسرح لظهور رجل قوى فى عام ٥٩٠، عُرف باسم «جريجورى»، كان ينتسب للطبقات الحاكمة فى روما القديمة، كما كان محافظاً لمدينته روما، ثم صار بعد ذلك راهبا فأسقفاً لها، ثم تبوأ عرش البابوية فى روما. ولقوته، سرعان ما دانت له كل أوروبا الغربية معترفة به لا كزعيم دينى فقط بل أيضاً كزعيم سياسى. وهكذا، فإن روما وإن كانت قد فقدت عرش الإمبراطور، إلا أنه حل محله عرش البابا، والذى لم يجد غضاضة فى أن يضع على رأسه التاج الإمبراطورى، واستطاع بسرعة أن يضمن لروما ولاء أوروبا الغربية. ومع أن سطوة البابوات استمرت لأكثر من ألف سنة حتى قام الإصلاح، إلا أن البابوات بعد جريجورى ـ وعلى الرغم من سلطتهم الدينية المطلقة ـ إلا أنهم لم يكونوا من القوة حتى ينجحوا سياسياً فى جمع شمل أجزاء الإمبراطورية وتوحيد أوروبا تحت زعامتهم.

٢ ـ بعد تحول عصا السلطان من العرش الإمبراطورى إلى العرش البابوى، كان الاتحاد وثيقاً بين البابوات وملوك الفرنجة، وهم القبائل الجرمانية التى تحتل شمال غرب أوروبا وأشهرها ألمانيا وفرنسا، وذلك طلباً لحمايتهم للعرش البابوى. وفى عام ٧٦٨م، أى بعد حوالى ثلاثة قرون من جرح الإمبراطورية المميت، كان يملك على الفرنجة ملك قوى اسمه الملك «شارل»، والذى يعرف فى التاريخ بـ«شارلمان»، وقد أدى هذا الملك خدمة جليلة للبابا «ليو الثالث» إذ أنقذ حياته إذ كان قد تعرض البابا لمحاولة اغتيال على يد عصابة من رعاع الرومان، وأعاده شارلمان إلى عرشه البابوى. وأراد البابا رد الجميل له. فبعد عدة شهور من محاولة الاغتيال الفاشلة فى ديسمبر ٧٩٩م كان «شارلمان» يحضر قداس عيد الميلاد فى كنيسة القديس بطرس فى روما، وفجأة، وأمام آلاف الحاضرين، بعد أن نهض «شارلمان» من صلاته، إذ بالبابا يضع على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية، ويلقِّبه بإمبراطور الرومان، بل وخلع عليه لقب أغسطس، هذا اللقب الذى لم يُسمع منذ مئات السنين، فصار اسمه «الإمبراطور شارلمان أغسطس»، ليعطى الإيحاء أن الإمبراطورية الرومانية قد عادت وشُفى جرحها المميت، حتى أن الإمبراطور الرومانى الشرقى ـ إمبراطور القسطنطينية ـ أرسل إليه ليثنى عليه ويهنئه بالإمبراطورية مخاطباً إياه بقوله: «أخى العزيز».

لكن هيهات، فلا الجرح شفى، ولا الحياة عادت، فلم يكن الوقت قد أتى بعد من مُنشىء الدهور الذى لا يفنى الإله الحكيم الوحيد. فقد مات «شارلمان» سنة ٨١٤م، وتقاتل أولاده وأحفاده فى سبيل الفوز بالتركة، مما أدى إلى تقسيمها بمقتضى معاهدات شهيرة كمعاهدة «فردان» عام ٨٤٣م، و«مرش» عام ٨٧٠م، وانقسمت المملكة الجرمانية لأول مرة لقسمين؛ حيث استولى «شارل الجسور» (حفيد شارلمان) على الجزء الغربى، والذى اعتبره امتداداً للإمبراطورية الرومانية وفرض اللغة الرومانية (أى اللاتينية) على الفرنجة[١]، واستولى الحفيد الآخر على القسم الشرقى والذى كان الرومان يطلقون عليه جرمانيا، وجرمانيا هذه لم تتأثر بالحضارة الرومانية قط، وكان أهلها يتكلمون اللغة

---

(١) هذا يفسر كيف أن بلاد جرمانية الأصل كفرنسا تتكلم اللغة اللاتينية.

الجرمانية. وقد كان الرومانيون المتحضرون يطلقون على اللغة الجرمانية (الألمانية) اسم Lingua Teutisca أى اللجهة العامية، إذ أنها مشتقة من الكلمة المشهورة «تيوت» والتى تعنى «الشعبى أو العامى»، وقد أصاب التحريف كلمة Teutisca فأصبحت دويتش Deutsch وهى التى تطلق اليوم على ألمانيا Deutsh Land.

وبهذا الانقسام سقط التاج الإمبراطورى مرة أخرى، وصار ألعوبة فى يد العديد من الأمراء، يتقاتلون عليه ويسرقونه الواحد من الآخر.

٣ ـ وكأنّ التاريخ يعيد نفسه، فقد تعرض البابا «ليو الثامن» لمناوأة شديدة من أعدائه، فأرسل مستنجداً، كسلفه «ليو الثالث»، بمملكة الفرنجة، لكن ليس الغربية بل استنجد بالمملكة الشرقية (أى الألمان)، فأرسل رسله ليمثلوا بين يدى «أوتو»، وهو أمير قوى كان يُعد الزعيم الأكبر للقبائل الجرمانية، فنجَدَه الأمير «أوتو»، والذى كان يحب إيطاليا جداً. وكانت المكافأة معروفة، فقد وضع البابا «ليو الثامن» تاج الإمبراطورية الرومانية على رأسه وجعله إمبراطوراً. وسمى عند ذاك الجزء الشرقى من مملكة شارلمان القديمة باسم عجيب: «الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية»، وكان ذلك حوالى عام ٩٦١م، أى مازال الحلم موجوداً والمحاولات مستمرة لشفاء الجرح المميت؛ لكن أيضاً نقول: هيهات، فلم يأت الميعاد بعد.

٤ ـ ظلت هذه البدعة السياسية (الإمبراطورية الرومانية فى ألمانيا!) تناضل لسنين طويلة، بلغت حوالى ٨٣٩ سنة؛ حتى تلاشت على يد رجل من الجزء الغربى من مملكة شارلمان، أى من فرنسا، كان ابن مسجل عقود كورسيكى، إلا أنه تسيد على أوروبا وقضى على الإمبراطورية الألمانية، هذا الرجل هو «نابليون بونابرت». ولم يفته بالطبع أن يحاول شفاء جرح الإمبراطورية الرومانية، فأرسل إلى روما وطلب من البابا «ابيوس السابع» أن يأتى إليه لتتويجه إمبراطوراً، فأتى بابا روما ووضع التاج على رأس نابليون، ونادى به وريثاً لسلطان شارلمان، أى الإمبراطور الرومانى الجديد.

إلا أننا هنا نكون قد وصلنا للعصر الحديث، وكلنا يعلم كيف باءت محاولة «نابليون» أيضاً بالفشل بعد أن جرّ على أوروبا كلها حروباً مدمرة هلك الملايين بسببها. وبعده

قامت محاولات أخرى صغيرة حيث أقيمت إمبراطورية فى ألمانيا سنة ١٨٧٠. ثم قامت محاولة أخرى فى روما على يد «موسولينى»، وفى ألمانيا مرة أخرى على يد «هتلر»: إلا أنهما باءتا بالفشل، ولم تؤديا إلا إلى المزيد من التمزق لأوصال جسد الإمبراطورية الرومانية، ولم يشف بعد الجرح المميت.

٥ ـ أما من الجهة الشرقية فى القسطنطينية، فقد استمر العرش الإمبراطورى حتى عام ١٤٥٣ عندما سقطت القسطنطينية فى يد الأتراك وقتل قسطنطين باليولوغس آخر أباطرة الرومان من نسل قسطنطين الأكبر على درج كنيسة القديسة صوفيا. إلا أنه قبل قتله بسنوات قليلة تزوجت «زوى» ابنة أخيه «توماس» من «إيفان الثالث» حاكم روسيا، وكانت روسيا فى ذلك الوقت تتبع القسطنطينية من ناحية الولاء الدينى وليس روما. واعتبر «إيفان الثالث» سقوط القسطنطينية معناه انتقال الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى روسيا، فارتدى على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية وعليه النسر ذو الوجهين، وصار هذا النسر ذو الوجهين هو شعار روسيا (كان هو شعار الإمبراطورية الرومانية فى القسطنطينية باعتبار أن لها وجهين: شرقى وغربى). وآخر من ارتدى هذا التاج وعليه هذا النسر ذو الوجهين هو القيصر «نيقولا الثانى» والذى قُتل بعد الثورة البلشفية هو وعائلته عام ١٩١٧م. ومن الطريف أن نعلم أنه فى الثامن من ديسمبر ٢٠٠٠ أقر الدوما الروسى مشروع الرئيس بوتين باعتماد العَلَم القيصرى مثلث الألوان علماً وطنياً إضافة إلى رأس النسر المزدوج!!

أى أنه إلى وقت قريب كان هناك قيصر فى روسيا يحمل على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية القديمة (الشرقية)، وسقط سنة ١٩١٧. وها هو الرئيس الروسى الحالى فى سنة ٢٠٠٠ مازال يحلم برمز الإمبراطورية الرومانية، ويأمر بوضعه فى العلم الروسى الجديد. كما كان هناك أيضا إمبراطور فى ألمانيا يحمل على رأسه تاج الإمبراطورية الرومانية القديمة (الغربية)، وسقط سنة ١٩١٨. كل هذا يعنى أن الإمبراطورية طول هذه القرون لم تمت وإن كانت مجروحة بجرح مميت.

ثانياً: المحاولة الناجحة وشفاء الجرح المميت

«وجرحه المميت قد شُفى» (رؤيا ١٣: ٣).

لقد حاولت باختصار أن أوضح لقارئى العزيز - مما سبق - كيف أن الإمبراطورية الرومانية التى أقامها أوغسطس سنة ١٤ق.م لم تمت وإن كانت قد جُرحت جرحاً مميتاً، وأن محاولات شفاء هذا الجرح استمرت بلا هوادة حتى سنة ١٩١٧م. إلا أنه يتضح أيضاً أن كل هذه المحاولات كانت تقوم على أساس إقامة الإمبراطورية بالقوة، أو بلغة الكتاب: محاولة إرجاع الساقين من حديد، ولكنها فشلت.

لكن الكتاب أخبرنا أن الإمبراطورية عندما يشفى جرحها، وتعود للحياة، ستكون فى صورة قدمين بهما عشرة أصابع ومكونة من حديد وخزف، وبالطبع ما يربط قطع الحديد ببعضها ويجمعها معاً هو الخزف أو الطين. وفى اعتقادى الشخصى أنه إذا كان الحديد فى القدمين يشير إلى القوة العسكرية، تلك القوة التى قامت على أساسها الإمبراطورية وعاشت وحكمت بها من فجر تاريخها، فإن الخزف يشير إلى المصالح الاقتصادية المشتركة.

فالإمبراطورية العائدة للحياة ستكون قائمة - كما سنرى - على أساس اقتصادى، وليس عسكريا ولا حتى سياسيا. وهذا لا يتعارض مع كونها تملك من الحديد - أى القوة العسكرية[1] - ما يجعلها تسود العالم كالقديم، لكنها لم تتحد على أساس القوة العسكرية، بل القوة الاقتصادية. فكل من قبل الدخول فى هذا الاتحاد من شعوب أوروبا إنما دخله بحثاً عن أمان اقتصادى ورفاهية. والوحدة الاقتصادية، ولاسيما عندما تكون بين شعوب متحضرة كشعوب أوروبا، قادرة فعلاً على جمع الشعوب تحت لوائها. والاقتصاد قادر أن يجمع القوة العسكرية ويسخرها لصالحه، كما تفعل أمريكا الآن: فكل أساطيلها الحربية لخدمة مصالحها الاقتصادية.

---

(١) فى آخر اجتماع لقادة دول الاتحاد الأوروبى فى ديسمبر ٢٠٠٠، قرر المجتمعون إنشاء قوة أوروبية خاصة للانتشار السريع، بالاستقلال عن حلف شمال الأطلنطى، قوامها ٦٠ ألف جندى من مختلف دول أوروبا.

لكن يبقى أنه عندما يكون الأساس الذى يقوم عليه الاتحاد هو أساس اقتصادى، فهذا أساس هش للغاية وضعيف كالخزف، فإذا حدثت هزة اقتصادية لإحدى دول الاتحاد، وشعرت أن وجودها داخل الاتحاد يؤثر سلبياً على اقتصادها، أو حتى إذا رأت إحدى دول الاتحاد أنها بوجودها داخل الاتحاد تفيد أكثر مما تستفيد؛ فإنها ـ من وجهة نظرى ـ لن تتورع عن الانفصال، ولن يستطيع أحد أن يجبرها على البقاء داخل الاتحاد، إذ أن لغة الإجبار والقوة غير واردة، وعليه يمكننا القول إن الإمبراطورية قد عادت للحياة، وهى فيها وعندها القوة العسكرية التى تجعلها سيدة العالم كما كانت من قبل، لكن يبقى أن أساس وحدتها هو أساس اقتصادى مما يجعل وحدتها وحدة هشة كالخزف.

فتعال بنا الآن لنرى كيف ستنجح تلك المحاولة الأخيرة السلمية فى شفاء الجرح المميت وإعادة الروح للإمبراطورية، بعد أن سقط آخر تاجين إمبراطوريين فى أوروبا (التاج الروسى والتاج الألمانى)، واللذان كان كلاهما يوحى لنفسه وللعالم أنه امتداد للإمبراطورية الرومانية التى لم تغب أبدا عن الأذهان. وبعد أن اشتعلت حربان طاحنتان هما الحرب العالمية الأولى والثانية ـ واللتان مزقتا جسد أوروبا تمزيقا وكان ضحاياهما سبعين مليون نسمة من خيرة شباب القارة ـ بدا وكأن حلم الوحدة وعودة الإمبريالية (الإمبراطورية) قد مات، لكن العجيب أنه لم تمض على نهاية الحرب الثانية سوى ست سنوات، وكانت الجروح التى خلفتها لم تبرأ بعد والخراب الذى جلبته لم يصلح بعد، إلا وبدأت أولى محاولات الإحياء:

١ ـ فى سنة ١٩٥١، تكون اتحاد اقتصادى أوروبى لتوحيد تجارة الفحم والصلب لكى تحتكر أوروبا تجارته، وسمى ذلك الاتحاد European Coal & Steel Community أى الجمعية الأوروبية للفحم والصلب ECSC.

٢ ـ فى سنة ١٩٥٨، اتسع النشاط ليشمل مختلف نواحى الإنتاج الأوروبى، وتعمقت الوحدة الاقتصادية وتمخضت عن توقيع اتفاق European Economic Community أى الاتحاد الاقتصادى الأوروبى، أو ما عُرف باسم السوق الأوروبية المشتركة EEC.

٣ - فى سنة ١٩٧٠، تم الاتفاق على السير فى خطوات ثابتة نحو وحدة اقتصادية ونقدية كاملة Economic and Monetary Unit (EMU) تتم بعد ١٠ سنوات، أى سنة ١٩٨٠ وذلك بمقتضى خطة واضحة محددة سميت Verner plan خطة فيرنر.

٤ - فى حقبة السبعينيات، تعثرت الخطوات، إلا أنه فى نهايتها، وبالتحديد فى ١٩٧٩. تم الاتفاق على نظام نقدى أوروبى European Monetary System (E.M.S) لكن بريطانيا رفضت الدخول فيه.

٥ - من سنة ١٩٨٠ - ١٩٨٥، كانت فترة التشاؤم الأوروبى والتصلب كما يسمونها.

٦ - ابتداءً من ١٩٨٦، دَبّ النشاط من جديد وتوالت الاجتماعات، حتى تمخضت سنة ١٩٨٩ عن تبنى خطة «جاك ديلور» للوصول إلى الوحدة النقدية الأوروبية EMU، ودخلت أسبانيا فى الوحدة.

٧ - فى سنة ١٩٩٠، تمت أول خطوة فى الخطة، ودخلت انجلترا فى نظام التحويلات الأوروبى Exchange Rate Mechanism (ERM).

٨ - فى ١٠ ديسمبر ١٩٩١، تم توقيع أشهر معاهدة وهى معاهدة «ماستريخت»، وكان ذلك عقب انهيار الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة بالقمة وشعور دول أوروبا بحتمية اتحادهم. هذه المعاهدة التى ترمى إلى أبعد من مجرد الوحدة الاقتصادية، بل تنص على وحدة سياسية وعسكرية واقتصادية كاملة؛ وكان بالطبع من بنود هذه المعاهدة الشهيرة التأكيد على أهمية EMU أى الوحدة الأوروبية النقدية.

٩ - منذ ذلك الوقت انطلقت الوحدة الأوروبية فى طريقها بأقصى معدلات السرعة، لا يعوقها عائق، وتوالى اشتراك الدول الأوروبية فيها، واستعدادهم للخضوع لشروط الوحدة. وتم الاتفاق على إلغاء الحدود بين الدول، وأن يحمل الأفراد جواز سفر أوروبياً، وتكون البنك المركزى الأوروبى. ثم كانت قمة الوحدة عندما تم الاتفاق أخيراً على عملة أوروبية موحدة هى اليورو، تطرح فى ١ يناير ١٩٩٩ فى السوق البنكية بجوار العملات الوطنية الأخرى، بشرط أن كل التحويلات فى سوق النقد الأجنبى تتم أولاً إلى اليورو ومنه إلى العملات الوطنية، على أن يُطرح اليورو لتداول رجل الشارع فى السوق ابتداءً من ١ يناير

٢٠٠٢، ثم اتفق على أنه ابتداءً من ١ يوليو ٢٠٠٢ يتم إلغاء جميع العملات الأوروبية، بما فيها الإسترلينى والمارك والفرنك وغيرها، ليكون اليورو هو العملة الأوروبية الوحيدة بين الدول الأعضاء.

أمـر غريـب

فى أغسطس ١٩٩٨، كنت فى زيارة للبنان، وفى أحد المؤتمرات وعقب نهاية اجتماع كان الكلام فيه عن قرب مجىء الرب، سألنى الأخ مدير المكان الذى عُقد فيه المؤتمر وهو خادم للرب قائلاً: «لقد تكلمت اليوم عن اليورو، **فهل** سبق لك ورأيته؟» فقلت: «لا، لأنه على حد علمى لن يُطرح للعامة إلا فى يناير ٢٠٠٢». فقال لى: «لقد استطعت بواسطة أحد الأصدقاء الألمان أن أحصل على ثلاث عملات من فئات مختلفة من اليورو من أحد البنوك (ويبدو بالطبع أنها عملات تذكارية)». فقلت له: «أرنى إياها من فضلك». وعندما رأيتها امتلأت فرحاً لأنها صارت واقعاً، لكننى امتلأت فى نفس الوقت خوفاً ودهشة عندما قلبتها فوجدت على أحد وجهيها قيمة العملة باللغة اللاتينية (لغة الإمبراطورية الرومانية) واليونانية، ثم على الوجه الآخر **صورة لامرأة راكبة على وحش طالع من مياه كثيرة وحول رأسها ١١ نجمة هى عدد دول الوحدة فى ذلك الوقت.**

وما أدهشنى ليس هو بالطبع أنى أرى كلمة الله المسجلة فى سفر الرؤيا وهى تصف أوروبا الموحـــدة بهذه الصورة تتم أمامى بصورة حرفية: «قائلاً لى: هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة.. فمضى بى بالروح إلى برية، فرأيت امرأة جالسة على وحش قرمزى مملوء أسماء تجديف، له سبعة رءوس وعشرة قرون» (رؤيا ١٧ : ١ ـ ٣)، «ثم وقفت على رمل البحر، فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رءوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة تيجان» (رؤيا ١٣ : ١)، لكن ما أدهشنى هو تصرف هؤلاء الذين صمموا هذه الصورة. وقلت فى نفسى إما أنهم يعلمون نبوة الكتاب ويتممونها، وفى هذا جرأة وفجور لا مثيل له إذ يعلمون غضب الله ودينونته التى ستلحق بهم وهم لا يعبأون؛ أو أنهم يتممون وهم لا يعلمون، وهنا أتعجب: ألم يقرأ سكان أوروبا المسيحيون بالاسم كلمة الله ولا سيما هذا الجزء الخطير؟

لكن فى النهاية عظمت الله على صدق نبوته، ورددت مع الرسول «وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت».

يبقى لنا سؤال فى غاية الأهمية، ثم تعليق.

أما السؤال فهو : هل يرى أهل العالم، ولاسيما مثقفوه وسياسيوه، مانراه نحن فى هذه الوحدة الأوروبية؟ **أى هل يرون أن هذه الوحدة هى إحياء للإمبراطورية الرومانية القديمة؟**

والإجابة باختصار هى: نعم هم يرون ذلك. وأكتفى بدليل واحد من جريدة الأهرام المصرية، وبالتحديد عددها الصادر فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩، وعلى الصفحة الخامسة منها، تحقيق طويل فى حوالى نصف صفحة كاملة عنوانه بالحرف الواحد هو:

«الوحدة الأوروبية...

عودة الروح للإمبراطورية الرومانية»

لقد قرأت العنوان فطفر قلبى، واقشعر جسدى، وكدت لا أصدق؛ لكنى وبخت نفسى بعدها وقلت: ولماذا لا تصدق، أليس عندنا الكلمة النبوية وهى أثبت؟ وأنقل لك من هذا المقال بالحرف الواحد ما كتب فى هذا الصدد:

«تجربة الوحدة الأوروبية واحدة من الحلقات الفريدة فى تاريخ البشرية منذ انطلاقها فى عقد الخمسينيات، فقد كانت جميع تجارب الوحدة السياسية فى عهود سابقة من النوع القسرى.. لكن وحدة أوروبا تتخذ الآن مسارا مختلفاً، تغلب عليه لغة المصالح الاقتصادية...» ثم يقول: «إن التطور الراهن فى مسيرة وحدة أوروبا، استدعى إلى الذهن الأوروبى قبل غيره الأيام الغابرة للإمبراطورية الرومانية القديمة التى امتدت فى يوم من الأيام من الجزر البريطانية وحتى القسطنطينية، مع ملاحظة أن سطوة الرومان كانت بفعل قوة السلاح وعلى حساب الحريات، بينما السلاح القوى الحديث للأوروبيين المعاصرين هو العملة الموحدة اليورو والتى ظهرت فى مطلع العام الحالى فى المرحلة الأولى لتطبيق اتفاقية الوحدة النقدية».

وأنقل لك النذر اليسير مما قيل فى حوار بين الدكتور عبدالمنعم سعيد ـ المحاور السياسى المعروف ـ وخافيير سولانا ـ أول مفوض أوروبى للسياسة الخارجية الأوروبية ـ وكان ذلك فى أكتوبر ١٩٩٩:

د. عبدالمنعم سعيد: «الاتحاد الأوروبى أقوى قوة اقتصادية على مستوى العالم، فقيمة صادراته بالنسبة للصادرات العالمية ٣٨,١٥٪، بينما نسبة الولايات المتحدة الأمريكية ١٢,٤٦٪، واليابان ٧,٦١٪، والصين ٣,١٪، (عام ١٩٩٧)». ويقول أيضاً: «الاتحاد الأوروبى أنجح تجمع عرفته البشرية وتجربة التكامل والوحدة الأوروبية أنجح تجربة عرفتها البشرية».

خافيير سولانا فى رده على سؤال هل هناك احتمالية العودة عن هذه الوحدة يقول: «إننا ليس فقط وصلنا فى وحدتنا إلى نقطة اللاعودة، بل إن نقطة اللاعودة قد مضت منذ أمد بعيد، ولاسيما بعد اليورو، ولكننا نحتاج لوقت لكى نصبح الولايات المتحدة الأوروبية».

أما التعليق فهو كلمات قليلة أرُدّ بها على اتهام أتوقع أن يوجهه البعض، ألا وهو أننا نفسر الكتاب فى ضوء الأحداث. فأقول إن هذا غير صحيح بالمرة، وإن كنا لا ننكر أن الأحداث تعطينا إمكانية أكبر لفهم بعض الغوامض فى النبوة، إلا أن تفسير النبوة لا يعتمد إطلاقاً على الأحداث، بل على كلمات الوحى نفسها وارتباطها ببقية النبوات. والدليل على ذلك: أن شراح الكتاب الأفاضل الذين قرأوا الكتاب وتكلموا عن هذه الوحدة العتيدة التى نراها نحن ماثلة أمام عيوننا، فعلوا ذلك من عشرات السنين، بل من أكثر من مائة عام، بل وقالوا ذلك عندما كانت الحروب تمزق جسد أوروبا. وأسوق لك بعض الأمثلة:

١ ـ جون داربى (والذى توفى سنة ١٨٨٢):

فى تعليقه على رؤيا ١٣ (Synopsis vol.5 rev. 13): «لا شك عندى أن الوحش فى رؤيا ١٣ هو الإمبراطورية الرومانية القديمة، لكن بعد تطوير فى شكلها وظهورها فى

طابع جديد، وستكون متحدة وكاملة من جهة شكل الحكم، إلا أنها ستظل تتكون من اتحاد بين عشر ممالك. وهذا فى رأيى نقطة الضعف فى حكمها».

٢ - وليم كيلى (المتوفى سنة ١٩٠٦):

فى شرحه لسفر دانيآل الأصحاح الثانى صفحة ٤٩ قال: «لقد تحطمت الإمبراطورية الرومانية إلى عدة ممالك منفصلة مستقلة، ولقد حاول شارلمان أن يقيمها من جديد لكنه فشل، لكن فى نهاية الأيام سيكون أغرب وأعجب اتحاد بين عناصر تبدو متضادة إلا أنهم ستتحد تحت زعامة رأس عام للإمبراطورية، حتى وإن ظلت ممالك لكل منها رئيسها، وإن كان هناك جزء فى العالم ينطبق عليه هذا الوصف ممالك مستقلة لكنها متحدة لا تختلط لكن تندمج تحت زعامة رئيس واحد فلا يمكن أن يكون غير أوروبا الحديثة».

٣ - ف. و. جرانت (المتوفى سنة ١٩٠٢):

يقول فى تعليقه على رؤيا ١٣: «عشرة ملوك يعطون ولاءهم وقوتهم لرئيس واحد.. فى الإمبراطورية الرومانية القديمة لم يحدث هذا إطلاقاً، إلا أن هذا سيكون حال الإمبراطورية الرومانية عندما تحيا من جديد فى أوروبا فى الأيام الأخيرة».

٤ - هـ. إيرونسيد (كتب فى سنة ١٩٢٠):

كتب فى شرحه لسفر دانيال الأصحاح الثانى يقول: «هل تتساءلون متى سيقع هذا الحجر؟ إن ذلك سيحدث عندما تتحد البلدان التى كانت تكون قديما الإمبراطورية الرومانية فى أوروبا، وتعمل تحالفا يضم عشر ممالك. إنى أرى بوادر إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة، **ومن دراستى لكلمة الله لا أتوقع إلا أحد أمرين: إما حرباً عالمية، وإما تحكيماً عالمياً. وسيعقب أياً منهما خطوات جادة تؤدى إلى إحياء الإمبراطورية فى صورة الممالك العشرة».**

٥ - حليم أرسناوى (توفى سنة ١٩٥٦):

فى كتابه الشهير صدى النبوات (ص٣٠٠) والذى كتب فى الأربعينيات من القرن العشرين: «سوف يحدث اتحاد سياسى وعسكرى واقتصادى فى أوروبا الغربية، وسوف

يبرز هذا الاتحاد بعد اختطاف الكنيسة العتيد، والرئيس الآتى هو حاكم روما العنيد، وسيكون فى البداية رئيسا لروما فقط، وسيكون فى اتحاد مع عشرة ملوك آخرين غير مستقلين عنه بباقى أجزاء الإمبراطورية الغربية، ونظن أن اتحاد غرب أوروبا سيجعل مركزه إيطاليا وقيادته تكون فى روما».

٦ ـ ناشد حنا (كتب فى سنة ١٩٨٠):

كتب فى شرحه لسفر دانيآل: «سيحدث قبل نهاية أزمنة الأمم، وبعد اختطاف الكنيسة إلى السماء، أن تعود المملكة الرومانية إلى الحياة، وهذا ما يشار إليه بشفاء الجرح المميت الذى كان بأحد رءوس الوحش الطالع من البحر، ولكن عودتها إلى الحياة ستكون فى شكل تحالف فيدرالى بين عشر ممالك.. ونستطيع أن نرى بوضوح مقدمة لهذا النظام فى أوروبا الحديثة» (شرح دانيآل ص٧٤، ٧٥ طبعة أولى سنة ١٩٨٠).

إذاً فنحن لا نفسر النبوءة فى ضوء الأحداث، بل نقرأ الأحداث فى نور النبوءة.

عشر ممالك أم عشرة ملوك؟

كثيرون يتساءلون كم سيكون عدد دول الاتحاد الأوروبى عند ظهور الوحش؟ هل هم عشرة أم أكثر أم أقل؟

وفى الحقيقة، لا أجد أى داعٍ لسؤال مثل هذا من الأصل، فالكتاب لم يتكلم عن دول تشكل الإمبراطورية الرومانية العائدة للحياة، لكنه تكلم عن أفراد متحدين كمجلس إدارة يحكمون هذه الإمبراطورية، وحدد عددهم بعشرة، ثم يقوم واحد صغير ليُسقط قدامه ثلاثة منهم ويستأثر هو بالسيادة على الإمبراطورية. ومن يرجع للكتاب فى مواضعه الشهيرة (مثل دانيآل ٢؛ ٧؛ رؤيا ١٧) لا يجد أى إشارة لاتحاد ممالك، بل على العكس، يتكلم عنها كمملكة واحدة متحدة. انظر مثلاً دانيآل ٢ : ٤٢ «وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فبعض المملكة (لاحظ مملكة وليس ممالك) يكون قوياً والبعض قَصِماً»، ثم فى عدد ٤٤ يقول: «وفى أيام هؤلاء الملوك، يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً». إذاً هم عشرة ملوك وليست عشر ممالك. وفى دانيآل ٧: ٢٣ يقول الكتاب

«أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض (لاحظ مملكة وليس ممالك) مخالفة لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون، ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالف الأولين، ويذل ثلاثة ملوك» لاحظ مملكة وعشرة ملوك من هذه المملكة، لكن ليست عشر ممالك وفى رؤيا ١٧: ١٢، ١٣ يقول: «والعشرة القرون التى رأيت هى عشرة ملوك لم يأخذوا مُلكاً بعد، لكنهم يأخذون سلطاناً كملوك ساعة واحدة مع الوحش. هؤلاء لهم رأى واحد، ويعطون الوحش قدرتهم وسلطانهم».

إذاً واضح جداً أنه بعد أكثر من ٦٠٠ سنة (الفارق بين دانيآل والرؤيا) مازالت النبوءة تتحدث عنهم كملوك وليس كممالك، لأنهم فى الحقيقة مملكة واحدة كما أكد دانيآل ٢، ٧. لكن ألا يُفهم ضمناً من العبارة «عشرة ملوك» أنهم عشر ممالك؟ هذا ربما ما كان يُفهم قديماً، ولهم عذر فى ذلك، **أما أمامنا نحن الآن فالأمر واضح وجلى؛ فأوروبا تحوى دولاً كثيرة تزيد على الخمسين دولة، ومعظم دولها يرغب فى الانضمام للوحدة، ولذا نحن لا نعلم كم سيكون عدد الدول فى النهاية**، لكننا نعلم علم اليقين من كلمة الله أنها ستكون مملكة كبيرة متحدة يديرها عشرة ملوك. ومن يتابع أخبار الاتحاد الأوروبى يعرف أنه فى ضوء تحديد الشروط الكثيرة للانضمام للاتحاد تبرز دائماً مشكلة التصويت داخل مجلس الاتحاد الأوروبى، فهل من المعقول أن تتساوى دولة رهيبة كألمانيا بكل ثقلها السكانى والسياسى والمادى وكدولة مؤسسة للاتحاد، مع دولة مثل لوكسمبورج مثلاً؟ أو تتساوى فرنسا مع المجر مثلاً؟ بالطبع كلا. وهم لم يصلوا بعد إلى حل حاسم نهائى، لكن ما نتوقعه نحن فى ضوء الكلمة أن النهاية عبارة عن مجلس من عشرة يرأسهم واحد سيكون هو فى النهاية الوحش.

أختم حديثى موجهاً سؤالى إلى عقل قارئى العزيز وقلبه:

ما هو موقفك من هذا الكتاب القديم؟ كتاب مر على كتابته أكثر من ألفى عام رسم بدقة أحداثاً نعيشها اليوم، أفلا يكون هو كتاب الله؟

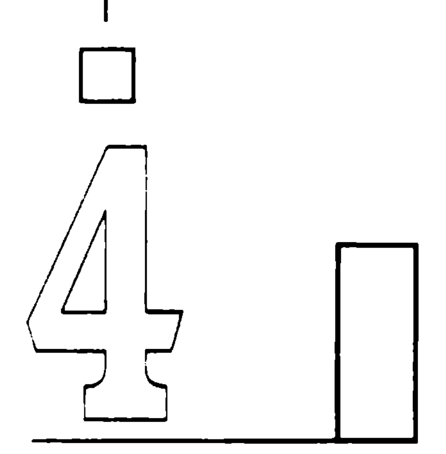
إنى أسأل عقل وقلب المفكر والمثقف، ألا تحتاج لكتاب يقول الصدق والحق؟ كتاب لا يبلى أو يقدم مع السنين، بل لا نُفَسِّر أحداث القرن الواحد والعشرين إلا فى نوره؟

إن هذا الكتاب هو الكتاب المقدس، والذى برع، لا فقط فى كشف مستقبل الإنسان، بل فى كشف قلب الإنسان وفراغه وخواءه وفساده، بل كشف ما هو أعظم من ذلك؛ إذ قد كشف قلب الله بكل حبه وعطفه وتقديره للإنسان، فهلا أحببت هذا الكتاب؟ أرجوك أن تفعل. (انتهى كلام المؤلف بنصه).

■■■

الفصل الرابع

النُّبوَّة والسِّياسَة





توصف العلاقة بين الكيان الصّهيونى والولايات المتحدة بأنها علاقة فريدة من نوعها، علاقة خاصة جداً ومصيرية. فالكيان الصهيونى هو الأكثر حظوة ورعاية فى أمريكا والفائز دوماً بنصيب الأسد من الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى فى مختلف العهود. والرابح دوماً للموقف الرسمى الأمريكى المنحاز بالكامل إلى صفه. كما يحظى العدو الصهيونى بعطف وتأييد الرأى العام الأمريكى على نطاق واسع.(١)

ولا ريب أن الكيان الصهيونى مدين للولايات المتحدة فى قيامه واستمراره وتوسعه وتفوقه. وبالمقابل فإن الولايات المتحدة تتنكر لأبسط حقوق الشعب الفلسطينى وتحارب بكل الوسائل وعلى كل صعيد كفاح هذا الشعب من أجل العودة إلى أرضه التاريخية وتقرير مصيره.

ترى ما الأسباب التى جعلت دولة كبرى كالولايات المتحدة تنساق فى هوى الحركة الصهيونية هذا الانسياق العجيب. وتفقد حاسة العدل والإنصاف التقليدية ـ على حد قول النيويورك تايمز ـ فتقف مع الظلم ضد العدل ومع المجرم ضد الضحية؟

كثرة من المحللين قد تعزو ذلك إلى الانتماء المشترك لمنظومة قيم الحضارة الغربية، أو إلى التشابه فى النشأة عن طريق الاستعمار الاستيطانى والاغتصاب، أو إلى النجاحات التى حققها اليهود فى أمريكا، وتأثيرهم فى الثقافة الأمريكية، وسيطرتهم على دوائر المال والأعمال ومراكز النفوذ وصناعة القرار السياسى ووسائل الإعلام. وقد تعيد ذلك أيضاً إلى العداء المشترك للإسلام ورغبة الغرب فى خلق قاعدة متقدمة فى المنطقة

---

(١) مجلة رسالة الجهاد الليبية، فبراير ١٩٩٠م، ١٣٩٩، العدد «٨٥» السنة الثامنة.

العربية تستنزف طاقاتها وتحول بينها وبين استعادة قوتها ووحدتها ودورها القيادى، وتحافظ على مصالح الغرب فى هذا الجزء من العالم.

وربما تُرْجعُ ذلك أيضاً إلى عقدة الشعور بالذنب فى الضمير الغربى تجاه المظالم التى حاقت باليهود خاصة فى العهد النازى.

ولكن قلة قليلة من العرب تدرك أن التحالف الصهيونى الأمريكى الفريد والخاص إنما يرجع ـ بالإضافة إلى العوامل السابقة، وفى المقام الأول ـ إلى دوافع وأسس دينية عميقة الجذور فى البنية الثقافية المسيحية وإلى الخلفية التوراتية فى العقل الأمريكى. كما أن قلة قليلة من المثقفين تدرك أن الفكرة الصهيونية قد ولدت فى أحضان المسيحية البروتستانتية قبل هرتزل بقرون، وأن الصهيونية المسيحية هى التى أوجدت الصهيونية اليهودية ودعمتها لتنفيذ المشروع الاستيطانى فوق أرض فلسطين، وأن جميع أولئك الساسة الذين ساهموا فى قيام الكيان الصهيونى كانوا مدفوعين بدوافع دينية.

ومن خلال هذه الرؤية نستطيع أن نفهم أكثر قول كارتر ـ الرئيس الأمريكى السابق ـ أمام الكنيست الصهيونى فى شهر المريخ «مارس» ١٩٧٩م: «إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولاتزال علاقة فريدة. وهى علاقة لا يمكن تقويضها لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه».(١)

كما نستطيع أن نفهم أكثر قول بريجنسكى مستشار كارتر لشئون الأمن القومى: «إن على العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات الأمريكية العربية، لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخى والروحى الذى يتعزز باستمرار بفعل النشاط السياسى لليهود الأمريكيين. بينما العلاقات الأمريكية العربية لا تحتوى أياً من هذه العوامل.(٢)

ويمكننا كذلك أن ندرك سر ما قاله ريجن عام ١٩٨٤م فى كنيس يهودى فى نيويورك: «جميعنا هنا اليوم من أحفاد إبراهيم وإسحق ويعقوب أبناء وبنات الإله نفسه».

---

(١) «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكى» إسماعيل كيلانى. مكتبة الأقصى الإسلامية ـ ١٩٨٦م ـ ص١٣٦.

(٢) «كارتر والتسوية فى الشرق الأوسط» ـ طاهر عبدالحكيم ـ دار ابن خلدون ـ بيروت ـ ١٩٧٧. ص٤٥.

وتكمن أهمية كتاب المؤلفة الأمريكية غريس هالسل: «النبوءة والسياسة» فى أنه يكشف صفحات مجهولة بالنسبة للوطن العربى عن طبيعة العلاقة بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، ويقدم التفسير العميق والصحيح للمواقف الأمريكية المؤيدة للكيان الصهيونى والمعادية للأمة العربية وللحق الفلسطينى كما يقدم هذا الكتاب شهادة حية لكاتبة أمريكية شهدت بنفسها عمليات التضليل والتزوير الدينى التى مارستها الصهيونية المسيحية من أجل تطويع نصوص الكتاب المقدس لخدمة الاستعمار والعدوان والمشروع الاستيطانى الصهيونى. ويسجل الكتاب أيضاً شهادة حية مدعمة بالوقائع والأرقام للدور الكبير الذى لعبته الصهيونية المسيحية فى الماضى والمستمر إلى يومنا هذا لمصلحة الكيان الصهيونى. والدعم الهائل الذى تقدمه هذه الحركة لتنفيذ سياسات العدو الصهيونى العدوانية التوسعية.

وقد وزعت المؤلفة مادتها على مقدمة وخمسة عشر فصلاً وخاتمة.

تتحدث الكاتبة فى مستهل مقدمة الكتاب عن البيئة التى ولدت وترعرعت فيها. فتذكر أنها ولدت فى مدينة «ليبوك» فى الولايات المتحدة من أب وأم مسيحيين، وأنها تربت على الإيمان بالديانة المسيحية، **وأن المسيحيين فى بلدها يؤمنون بأن تاريخ الإنسانية سوف ينتهى بمعركة تدعى «هَرْمَجَدُّون» وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذى سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات.** كما تذكر الكاتبة أن المسيحيين فى المدينة التى نشأت فيها يؤمنون بحرفية الكتاب المقدس، وطبقاً لذلك فإنهم يعتقدون أن عمر الكون هو ستة آلاف سنة، وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله أعطى الأرض المقدسة لليهود، ولأن اليهود هم شعب الله المختار فإن الله يبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم.

وحول الثقافة الدينية التى يتلقاها تلاميذ المدارس فى مدينتها تؤكد الكاتبة أنها ثقافة الكتاب المقدس الذى يتحدث بإلحاح وإصرار عن استيطان اليهود العبرانيين فى فلسطين، وأن هذه الثقافة ولدت عندها رغبة جامحة للإقامة فى فلسطين أيضاً.

ومن الواضح أن المؤلفة تقدم نفسها كنموذج للإنسان الأمريكى وللثقافة التى تصوغ العقلية الأمريكية.

وتتابع الكاتبة الحديث عن سيرتها الذاتية فتقول: إنها تركت عائلتها منذ التاسعة عشرة من عمرها واعتمدت على دخلها ككاتبة، وجابت أوروبا وكوريا واليابان وأمريكا الجنوبية، وعملت مراسلة فى فيتنام، وعاشت معاناة الشعب الفيتنامى من جراء الحرب الوحشية التى شنتها الولايات المتحدة ضد ذلك الشعب الآمن المكافح.

كما تذكر أنها عملت أيضاً مراسلة لتغطية الحملة الانتخابية للرئيس لندون جونسون وأنه اختارها للعمل معه ككاتبة فى البيت الأبيض. وفى سبيل معايشة آلام المعذبين والمضطهدين تركت عملها فى البيت الأبيض، وسودت بشرتها، وعاشت كامرأة سوداء، وسجلت انطباعاتها وتجاربها فى كتاب، كما عاشت حياة سيدة هندية تعيش فى مخيم فى مكسيكو الجديدة وأريزونا فى الولايات المتحدة، وكتبت تجربة سيدة مكسيكية تجتاز الحدود الأمريكية المكسيكية دون وثائق رسمية.

وكان لابد طبعاً من أن تزور فلسطين لتحقق أملها وتتابع رحلة معايشة المعذبين فى الأرض ولكن بمعرفة وعقلية تنطلق أساساً من الكتاب المقدس. وهناك قابلت المؤلفة ـ لأول مرة فى حياتها ـ رجلاً فلسطينياً وأخبرها كيف أجبر ـ تحت تهديد السلاح ـ على مغادرة أرض آبائه وأجداده، وعاشت فى مستوطنة صهيونية فى الضفة الغربية فى منزل يهودى أمريكى من بروكلين أصلاً وسمعت بأذنيها ومن أفواه الصهاينة كيف صادروا أرض المستعمرة من الفلاحين الفلسطينيين بالقوة والإرهاب. وهنا بدأت تتساءل: هل صحيح أن لله شعباً مختاراً؟! هل الكيان الصهيونى هو صهيون التوراتية القديمة؟ هل يحق لرجل يهودى أمريكى أن يدعى أن فلسطين أرض آبائه وأجداده؟! وهل فلسطين فعلا أرض بلا شعب؟! وما علاقة ما يحدث على أرض فلسطين بالنبوءات التوراتية حول نهاية الزمن؟!

فى هذا السياق تستطرد الكاتبة للحديث عن كتاب: «آخر أعظم كرة أرضية» الذى بيع منه نحو ١٨ مليون نسخة، وظل على رأس لائحة الكتب الأكثر مبيعاً فى السبعينيات.

وتكمن خلاصة الكتاب فى قول مؤلفه (هول لندسى): **إن الله قضى علينا أن نخوض غمار حرب نووية «هَرْمَجَدُّون»**. والخطر هنا أن لندسى يوظف نبوءات الكتاب المقدس لتأصيل نظريته هذه.

والأخطر من ذلك أن رونالد ريجن الرئيس السابق للولايات المتحدة قرأ ذلك الكتاب وتأثر به وأصبح يومن أن تدمير الكرة الأرضية بحرب نووية هو **قضاء إلهى قادم لا محالة**. وتؤكد الكاتبة أن **موقف ريجن من «ليبيا»** واعتبارها العدو الدولى رقم واحد كان مستنداً إلى تفسيره لنبوءة توراتية تقول: إن أرض (إسرائيل) سوف تتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش دول لا تؤمن بالله. معتقداً أن ليبيا ستكون من بينها. وما دامت «ليبيا» من أعداء «إسرائيل» فهى عدو الله فى نظر ريجن المنطلق من الخلفية التوراتية.

وتبين الكاتبة أن أصول نظرية «هَرْمَجَدُّون» تعود إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع «سايروس سكوفيلد» و«جون داربى» اللذين أسسا مفهومهما عن المسيحية على أساس النبوءات التوراتية والإنجيلية واستنتجا أن لله مخططاً على الأرض من أجل «إسرائيل» ومخططاً فى السماء من أجل خلاص المسيحيين. وكان سكوفيلد يؤكد أن هذا العالم سوف يصل إلى نهايته بكارثة ودمار ومأساة عالمية نهائية، وأن المسيحيين يجب ألا ينزعجوا من هذا الأمر لأنه ما إن تبدأ المعركة النهائية حتى يرفعهم المسيح إلى السحاب وينقذهم من الهلاك.

وبعد انتهاء مأساة الحروب على الأرض يعود المسيحيون إليها من السماء ليعيشوا مع المسيح ألف سنة فى جنة أرضية تنعم بالسلام المطلق.

وتذكر الكاتبة أن أربعين مليوناً من البروتستانت الأصوليين يؤمنون بهذه النظرية، ويعتقدون أن النبوءة الإنجيلية تقضى بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه، ويعتبرون الإرهابيين اليهود الذين حاولوا مرارا تدمير الأقصى أبطالاً، ويدعمون الحركات الصهيونية الإرهابية التى تخطط للعدوان على المقدسات الإسلامية. كما يعتبر هؤلاء أن قيام الكيان الصهيونى وإعادة بناء الهيكل وبناء ما يسمى بـ«إسرائيل الكبرى» شرط لعودة المسيح.

وتلاحظ المؤلفة أن استطلاعات الرأى الأخيرة تشير إلى أن أعداداً متزايدة من الأمريكيين يعتقدون أنه محكوم على البشرية بالفناء، وأنهم سوف يدمرون الكرة الأرضية. فاستطلاع ١٩٨٤م، الذى أجرته مؤسسة (بانكيلوفيتش) أظهر أن ٣٩ فى المئة من الشعب الأمريكى يقولون: إنه عندما يتحدث الكتاب المقدس عن تدمير الأرض بالنار فإن ذلك يعنى أننا نحن أنفسنا سوف ندمر الأرض. وتقول المؤلفة: إذا كان هذا الاستطلاع صحيحاً فإن ذلك يعنى أن ٨٥ مليون أمريكى يعتقدون أن الحرب النووية لا مفر منها.

ويروج لنظرية الدمار النووية فى «هَرْمَجَدُّون» - كما تبين الكاتبة - جيش من المبشرين ورجال الدين الذين يجندون المئات من محطات الإذاعة المسموعة والمرئية ويعدون البرامج لتسويق تجارة الدمار ودق طبول الحرب النووية، والدعوة إلى دعم الكيان الصهيونى فى سياسته التوسعية من أجل عودة المسيح.

والخطير أن هذه البرامج تصل إلى عشرات الملايين من البيوت الأمريكية. **كما أن نظرية «هَرْمَجَدُّون» تدرس فى معظم المدارس الكنسية فى الولايات المتحدة.** ويؤكد أقطاب هذه النظرية للعامة أنه لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح، وأن أى تبشير بالسلام قبل هذه العودة هرطقة. إنه ضد كلمة الله، إنه ضد المسيح.

وتبدى الكاتبة - فى خاتمة مقدمتها - قلقها وتخوفها من انتشار هذه الأفكار وخطرها على صناعة القرار السياسى وعلى السلام العالمى.

هَرْمجدُّون على الطبيعة:

تحدثنا المؤلفة فى الفصل الأول من الكتاب عن رحلة قامت بها عام ١٩٨٠م إلى موقع هَرْمَجَدُّون قرب حيفا فى الأرض المحتلة مع مجموعة من أتباع (جيرى فولويل) زعيم منظمة (الأكثرية الأخلاقية) وأحد أقطاب نظرية حتمية الدمار النووى فى هَرْمَجَدُّون، لتعرف أكثر عن هذه النظرية ولتعرف إلى أى مدى يفكر أتباع فولويل مثله.

وتسجل المؤلفة فى هذا الفصل حواراً تم عند موقع هَرْمَجَدُّون بينها وبين (كلايد) أحد مرافقيها فى الرحلة وهو رجل أعمال متقاعد وخريج جامعى وضابط سابق. وقد أكد لها

كلايد أن موقع هَرْمَجَدُّون كان دائماً مسرحاً للمعارك فى مختلف مراحل التاريخ، وأنه سيكون موقع المعركة الأخيرة بين قوات الخير بقيادة المسيح وقوات الشر بقيادة أعداء المسيح.

وحينما تساءلت عن مصدر هذه المعلومة أخبرها كلايد أن العهد القديم لم يذكر شيئاً عن معركة هَرْمَجَدُّون ولكنها مذكورة - ولمرة واحدة فقط - فى العهد الجديد فى سفر الرؤيا للقديس يوحنا: «فجمعهم إلى الموضع الذى يدعى بالعبرانية هَرْمَجَدُّون» (١٦ : ١٦). وهنا تبدى الكاتبة حيرتها وتشككها لأن هَرْمَجَدُّون فى النَّص تعنى مكاناً وليس معركة.

ويؤكد (كلايد) أن سفر الرؤيا يذكر أن ملوك الشرق (الاتحاد السوفييتى) سيعبرون الفرات الذى يكون جافاً على رأس ٢٠٠ مليون من المقاتلين إلى هَرْمَجَدُّون.. وعند ذكر الملوك تستدرك الكاتبة أنه ليس هناك ملوك شرق الفرات اليوم. وأن القديس يوحنا كان يكتب لعصره لا لعصرنا. ولكن كلايد يقول: إن كلمة ملوك تعنى القادة.. رؤساء الدول فيفسر النصوص حرفياً أو مجازياً على حسب هواه.

وعندما تتساءل المؤلفة: كيف يمكن توحيد كل جيوش الشرق؟ يجيب (كلايد) بأن الأرواح الشيطانية ستدير عقولهم وتوجههم.

ويمضى (كلايد) فى وصف المعركة الأخيرة فيقول: إن المسيح سوف يدمر أعداءه بالأسلحة النووية أو ما يشابهها، وإنه سوف يوجه الضربة الأولى، وإن ثلثى اليهود سوف يقتلون فى هذه المعركة، وإن المسيح سوف يدمر أعداء (إسرائيل).

وحين تسأل الكاتبة: لماذا يحكم الله بدمار الأرض وقتل معظم الشعوب؟ يجيب كلايد بأن الله يفعل ذلك بصورة أساسية من أجل شعبه القديم اليهود كى يحملهم على الاعتراف بالمسيح كمخلصهم.

وهنا تتساءل المؤلفة: هل من المعقول أن يحكم الله بتدمير العالم وإبادة الشعوب من أجل قلة من اليهود؟

●●

النهايــة قريبــة

فى الفصل الثانى من الكتاب **تستعرض الكاتبة آراء أصحاب نظرية هَرْمَجَدُّون النووية حول ميقات تلك المعركة النهائية** فهذا (بيلى جراهام) يقول: «إن العالم يتحرك الآن بسرعة كبيرة نحو هَرْمَجَدُّون، وإن الجيل الحالى من الشباب قد يكون آخر جيل فى التاريخ».

وهذا (لندسى) يقول: الجيل الذى ولد منذ عام ١٩٤٨م سوف يشهد العودة الثانية للمسيح، ولكن قبل هذا الحدث علينا أن نخوض حربين: الأولى ضد يأجوج ومأجوج (الاتحاد السوفييتى) والثانية فى هَرْمَجَدُّون. ويقول أيضاً: **«سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة هَرْمَجَدُّون وسينحنى كل واحد منهم أمام المسيح».**

ويقول (فولويل): «إن كل المبشرين بالكتاب المقدس يتوقعون العودة الحتمية، للإله وأنا أصدق نفسى بأننا جزء من جيل النهاية.. الجيل الأخير الذى لن يغادر قبل أن يأتى المسيح».

ويقول أيضاً: أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط إلى أن يأتى يوم يجلس فيه الإله المسيح على عرش داود فى القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه».

وفى مقابلة مع صحيفة (لوس أنجلس تايمز) فى الرابع من شهر المريخ «مارس» ١٩٨١م يقول: «إننا نعتقد أننا نعيش فى الأيام الأخيرة التى تسبق مجىء الرب». وحين سئل عن توقيت النهاية أجاب: أنا لا أعرف ولكن لا أعتقد أن الوقت طويل هكذا، لا أعتقد أنه بقى أمامنا ٥٠ سنة أخرى. إننى لا أعتقد أن أطفالى سيعيشون حياتهم الكاملة».

ريجن: التسلح من أجل هَرْمَجَدُّون حقيقة

تخصص الكاتبة الفصل الثالث للحديث عن موقع نظرية هَرْمَجَدُّون فى عقلية ريجن وأثر ذلك على سياسته وعلى السلام فى العالم.

يقول أندرو لانغ مدير الأبحاث فى المعهد المسيحى فى واشنطن: «إن الملاحظات التى حُررت عن ريجن فى السبعينيات وكشف عنها للمرة الأولى عام ١٩٨٥ تثبت أن ريجن كان مؤمناً بهذا النظام وبأيديولوجية هَرْمَجَدُّون».

ولعل هذا الإيمان راجع إلى تربيته الدينية فى طفولته، فقد نشأ على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس، وتشبع بتعاليم الكتاب المقدس من خلال مدارس الأحد. وكانت والدته المتدينة شديدة التأثير عليه خاصة فى نشأته الروحية.

وبالإضافة إلى والدته فقد تأثر ريجن بأصدقائه المقربين الذين كان العديد منهم يؤمنون بنظرية هَرْمَجَدُّون.

وحينما أصبح ريجن حاكماً لكاليفورنيا كان مشبعاً بالإيمان بهذه النظرية.

ويروى (جيمس ميلز) الرئيس السابق لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا أن ريجن كان سعيداً حينما أسقط الشيوعيون هيلاسى لاسى فى أثيوبيا لأن ذلك يتطابق مع النبوءة التى تقول: إن أثيوبيا ستكون واحدة من الأمم المعادية لله التى تحارب (إسرائيل).

كما يروى (ميلز) قول ريجن: «إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل هَرْمَجَدُون قد مرت» ففى الفصل (٣٨) من سفر حزقيال ورد أن الله سيأخذ أولاد «إسرائيل» من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفى سنة. وإن حزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج الأمة التى ستقود قوى الظلام الأخرى ضد «إسرائيل» سوف تأتى من الشمال. إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال: إن يأجوج يجب أن تكون روسيا».

وفى حديث إلى الإنجيلى (هارولد برتسون) أكد ريجن أن إعادة توحيد القدس تحت العَلَم الصهيونى هو تحقيق لنبوءة إنجيلية.

ويقول المؤلف (دوغ ويل): **إنه سمع ريجن يقول: «إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذى سيرى هَرْمَجَدُون».**

وفى عام ١٩٨٠م قال ريجن أمام مجموعة من القادة اليهود: «إسرائيل هى الديمقراطية الثابتة الوحيدة التى يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هَرْمَجَدُّون».

وفى عام ١٩٨٢م رتب ريجن (لفولويل) داعية هَرْمَجَدُّون الكبير حضور اجتماع مجلس الأمن القومى ليناقش كبار المسئولين الأمريكيين فى احتمال حرب نووية مع روسيا. كما وافق ريجن على أن يلقى (هول لندسى) مؤلف كتاب: «آخر أعظم كرة أرضية» كلمة حول الحرب النووية مع روسيا أمام استراتيجيى البنتاجون.

وفى عام ١٩٨٣م كشف ريجن عن أهمية الكتاب المقدس فى حياته قائلاً للمذيعين الدينيين: «بين دفتى هذا الكتاب الوحيد توجد جميع الإجابات عن جميع المشاكل التى تواجهنا اليوم».

يقول (جيمس ميلز): «إن سياسات الرئيس ريجن الداخلية والمالية منسجمة مع التفسير اللفظى للنبوءات التوراتية ـ الإنجيلية».

«وبالتأكيد فإن توجهه بالنسبة للإنفاق العسكرى وبرودته تجاه مقترحات نزع السلاح النووى ملتزمة مع وجهة نظره هذه التى يستمدها من سفر الرؤيا لأن هَرْمَجَدُّون لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السلاح ويتبع ذلك أن جميع البرامج المحلية وخاصة تلك التى تتطلب إنفاقاً رئيسياً يجب أن تعلق من أجل توفير المال لتمويل تطوير الأسلحة النووية من أجل إطلاق الحمم المدمرة على الشياطين أعداء الله».

وبناءً على هذه الرؤية وهذه الخلفية التوراتية تواصل الولايات المتحدة تصعيد الإنفاق على الأسلحة النووية وتخزينها فى الداخل والخارج، ففى الثالث من شهر النوار «فبراير» ١٩٨٦م قالت صحيفة (واشنطن بوست): إن الإدارة الأمريكية اقترحت مواصلة البناء العسكرى فى السنوات الخمسين المقبلة. واستناداً إلى وثائق الخزينة قالت الصحيفة: إن الإنفاق على مشاريع وزارة الدفاع يشير إلى ارتفاع من ٢٥٨,٤ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨٦م إلى ٣٥٦,٦ مليار دولار فى عام ١٩٩١م.

يحدث هذا بالرغم من أن القدرة التدميرية الإجمالية للقوة النووية فى العالم هى أكبر مليون مرة من القنبلة التى أسقطت على هيروشيما.

تغييب الوجود العربى الإسلامى والنصرانى فى فلسطين المحتلة:

تكرس الكاتبة الفصل الرابع لفضح سياسة العدو الصهيونى وأنصاره من المسيحيين الصهيونيين الرامية إلى تغييب الوجود العربى الإسلامى والنصرانى فى فلسطين المحتلة عن الرأى العام الغربى على وجه الخصوص من أجل تكريس المقولة الكاذبة بأن فلسطين أرض بلا شعب، ومن أجل تصوير الصراع العربى - الصهيونى على أنه صراع إسلامى - يهودى لابتزاز العالم الغربى المسيحى وحشده ضد العرب المسلمين. فمن خلال رحلة نظمتها جماعة (فولويل) إلى الأرض المحتلة عام ١٩٨٣م وشاركت فيها المؤلفة تذكر كيف يحرص الأدلاء السياحيون الصهاينة على تجاهل الوجود العربى التاريخى فى فلسطين المحتلة ويسمون الضفة الغربية (يهودا والسامرة). وحينما يمرون مع السائحين النصارى بمنطقة عربية يصفون العرب بأنهم مسلمون إرهابيون رافضون للسلام، ولا يذكرون أبداً أن بين العرب نصارى يعانون من الاحتلال الصهيونى كما يعانى المسلمون.

وتبين المؤلفة كذلك كيف يحرص منظمو الرحلات السياحية إلى فلسطين المحتلة من الصهاينة المسيحيين على تجنب احتكاك السياح بالفلسطينيين النصارى وتجنب كل المؤسسات والفنادق والمطاعم ووكالات السفر التى يديرونها.

وتسجل الكاتبة أن الدليل السياحى الصهيونى الذى كان يرافق السياح الأمريكيين فى الرحلة التى شاركت فيها عام ١٩٨٣م امتنع عن السماح لهم بزيارة مدينة الناصرة التى تعيش فيها أغلبية عربية نصرانية كما لم يسمح لهم بزيارة نصارى أمريكيين يعيشون فى تلك المدينة. ووصل حد حرص (فولويل) منظم الرحلة على الفصل بين السياح الأمريكيين والنصارى الفلسطينيين أنه لم يسمح لهم بالتوجه إلى الكنيسة يوم الأحد لأداء الصلاة. وبدل ذلك أدوا الصلاة فى أحد الفنادق الصهيونية.

وهكذا تتناغم جهود الحركة المسيحية الصهيونية مع مقولة جولدا مائير: لا يوجد شعب فلسطينى.

استحسان المسيح العسكرى

تحت هذا العنوان تقدم الكاتبة صورة عن الطابع السياسى للرحلات التى ينظمها دعاة الصهيونية المسيحية أمثال: (جيرى فولويل) إلى الأرض المحتلة، وكيف تستغل هذه الرحلات من قبل الصهاينة لتعبئة الرأى العام الأمريكى ضد العرب، وكيف تنظم اللقاءات بين السياح المسيحيين وكبار المسئولين فى الكيان الصهيونى الذين يصورون لهم التوسع والعدوان حرباً للإرهاب والشيوعية وأعداء الله، وينتزعون إعجابهم ودعمهم وحرصهم على استمرار سياسة الولايات المتحدة المنحازة بالكامل للعدو الصهيونى.

وكمثال على ذلك تذكر المؤلفة لقاء تم فى ليلة ١٩ من شهر الحرث «نوفمبر» عام ١٩٨٣م بين ٦٣٠ شخصاً من أتباع (فولويل) ووزير الدفاع الصهيونى موشى أرينز الذى مجد الغزو الصهيونى للبنان وقال: «إن هذه العملية حققت نصراً عظيماً ليس فقط (لإسرائيل) وإنما للعالم الحر أيضاً منذ ذهبنا إلى لبنان لنقتل كل الإرهابيين». ولاحظت الكاتبة أن المسيحيين الصهيونيين كانوا يقاطعونه باستمرار بالتصفيق.

وتقول الكاتبة هنا: عندما كنا خارجين من القاعة سألت أحد أعضاء الوفد: هل كان يدرك أن مجموعتنا كانت تصفق لغزو وذبح شعب برىء؟ **فأجاب: إن غزو لبنان كان عملاً من إرادة الله. لقد كانت حرباً مقدسة. إننى أعتقد أن الغزو كان رائعاً لأنه كان منسجماً مع العهد القديم ولأنه يؤكد النبوءة التوراتية ـ الإنجيلية. وهذا يمكن أن يعنى أننا نقترب من هَرْمَجَدُّون.**

بدا الأمر مربكاً بالنسبة إلىَّ لأن (إسرائيل) تسير فى اتجاه العسكرتاريا بميزانية دفاعية ضخمة. وفولويل يدعو رجلاً عسكرياً ليخطب فينا. لقد كان أرينز فى الواقع النجم الجذاب الذى قدم إلينا ـ نحن المسيحيين ـ ولقد صفقنا له بحرارة وكأننا نصفق للمسيح العسكرى. ولقد تساءلت ما إذا كان علينا ـ نحن المسيحيين ـ الذين نتبع المسيح المعذب أن نصفق للمسيح العسكرى؟

لقد أجاب أحد أعضاء الوفد قائلاً: إن (جيرى فولويل) يردد دائماً القول إن الكتاب المقدس يقول: «إن الذين يباركون إسرائيل يباركهم الله، وإن الذين يلعنون إسرائيل يلعنهم الله».

لقد زادنى هذا الأمر إرباكاً، فإذا كان الله يريد من الناس أن يتبعوا نهج ابنه المسيح غير العسكرى، وإذا كانت (إسرائيل) بتسلحها الشديد آثمة فإننى لا أفهم لماذا يمكن لله أن يبارك الولايات المتحدة وأن يبارك المسيحيين الذين يساعدون ويشجعون الآثم.

وفى لقاء للكاتبة مع القس (جوزف لونشتاين) رئيس جامعة بيت لحم سألته: كيف يفيد «الإسرائيليون» من خلال تشجيع (فولويل) على تجاهل المواطنين الفلسطينيين المسيحيين؟ فأجاب: «إن الهدف الأساسى للعسكرية الصهيونية هو السيطرة على قلوب وعقول المسيحيين الأمريكان، فإذا استطاعوا إقناع المسيحيين الأمريكان بأن الشعب الفلسطينى غير موجود أو أنه غير مهم، عند ذلك سيوافق المسيحيون على كل ما يفعله الإسرائيليون.

إن تشديد القبضة الإسرائيلية على فلسطين يعنى أن المسنين المسيحيين سيبقون وسيموتون، وأن الأحداث منهم الذين لا يستطيعون المغادرة سيضطرون إلى البقاء من دون أى مستقبل أمامهم. إن الصهيونيين يواصلون إقامة المستوطنات غير الشرعية على الأرض الفلسطينية، والفلسطينيون يخسرون باستمرار أراضيهم دون أن يحرك أحد ساكناً، إننى لست مسروراً من السياسة الأمريكية التى تتوافق مع المصادرة الإسرائيلية. إننى أعتبر ذلك إبادة للشعب الفلسطينى من دون أفران.

إن المسيحيين الذين يهاجرون أو الذين يموتون تحت هذا القمع هم أنفسهم المسيحيون الذين حافظوا باستمرار على شعلة الكنيسة الأم طوال التاريخ المسيحى. إنهم الآن يواجهون أعتى عمليات الإبادة منذ أيام المسيح. لو كان المسيح هو فولويل لوافق على كل ما هو خطأ ولما مات على الصليب.

إن (فولويل) يأتى إلى القدس حيث يوجد مسيحيون من حوله فى كل مكان ولكنه يرفض رؤيتهم. إنه يغمض عينيه وقلبه فى وجه المسيحيين الذين عاشوا هنا منذ أيام

المسيح. إن (فولويل) يؤثر أن ينقلب المسيحيون على تراثهم كأتباع للمسيح، فهل كان المسيح يغمض عينيه ولا يكترث لمصير المسيحيين كما يفعل (فولويل)؟! إننى أدعو كل المسيحيين للشهادة على معاناة الفلسطينيين.

وتختم الكاتبة الفصل بقولها: «إن مسيحيين مثل (فولويل) يوفرون للإسرائيليين الدافع للتوسع، ولمصادرة المزيد من الأرض العربية، ولاضطهاد مزيد من الشعوب لأنهم يدعون أن الله إلى جانبهم وأن العم سام راغب فى توقيع الفاتورة.

بحث عن حياة فولويل

فى هذا الفصل السادس تحاول الكاتبة البحث فى حياة (فولويل) لتعرف متى بدأ تحالفه مع الكيان الصهيونى وكيف استعمله ذلك الكيان. وماذا حصَّل فولويل بالمقابل. وتصل الكاتبة من خلال البحث إلى أن (فولويل) قبل عام ١٩٦٧م كان ينادى بفصل السياسة عن التبشير وتقديم التبشير على أى عمل آخر. ولكن بعد الانتصار العسكرى للعدو الصهيونى فى عام ١٩٦٧م تغير (فولويل) تماماً وأصبح من كبار مؤيدى الكيان الصهيونى. ذلك أنه رأى فى ذلك الكيان القوة المعجزة التى لا تقهر، وأعتقد أن الله يتدخل لمصلحة الصهاينة، فى الوقت الذى كان شعور الهزيمة والعجز يسيطر على الأمريكيين بسبب هزيمتهم فى فيتنام.

وبعد وصول كتلة ليكود إلى الحكم فى الكيان الصهيونى بدأ الصهاينة فى استعمال (فولويل) أكثر. ففى عام ١٩٧٩م دعاه الصهاينة لزيارة الأرض المحتلة فى الوقت الذى كانوا فيه يزرعون المستوطنات غير الشرعية فى أرجاء الضفة الغربية ليعلن هناك أن الله أعطى الضفة الغربية لليهود، وليقول فى خطاب ألقاه بالمناسبة: «إن الله يحب أمريكا لأنها تحب اليهود!!».

وكان (فولويل) بعد ذلك يردد أن على الولايات المتحدة حماية الكيان الصهيونى ليس من أجل مصلحته فقط بل من أجل المحافظة على أمريكا ذاتها.

وفى عام ١٩٨١م وبعد أن قصف الصهاينة المفاعل الذرى العراقى اتصل بيجن (بفولويل) لتغطية العملية والدفاع عنها وحشد التأييد لها فى الولايات المتحدة. وكذلك

فقد استعمل (فولويل) لدعم الغزو الصهيونى للبنان عام ١٩٨٢م ولتبرئة الصهاينة من مجازر صبرا وشاتيلا.

وقد حصل (فولويل) بالمقابل على طيارة خاصة هدية من الصهاينة، ومنحه الإرهابى بيجن ميدالية تحمل اسم الإرهابى الصهيونى جابوتنسكى الذى كان يقول:

«إن كل من يؤمن بالعدالة هو غبى. إن القوة يجب أن تكون هدفك. يجب ألا يثق أحد بجاره إنما عليه أن يتسلح حتى أسنانه»

كما أن (فولويل) يتمتع بثروة طائلة وممتلكات واسعة!

إعادة بناء الهيكل الثالث

تتحدث المؤلفة فى الفصل السابع من الكتاب عن المقدسات الإسلامية فى القدس وتبين كيف يعد الصهاينة العدة لتدمير المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وبناء الهيكل مكانهما، وكيف أعدوا مواد البناء والتحف التى ستستعمل فى الهيكل وأثواب الحاخامات. وكيف يتعلم طلاب المدارس الدينية طقوس القرابين التى ستقدم فى الهيكل.

وتسجل الكاتبة هنا أن الصهاينة المسيحيين يعتقدون أن إعادة بناء الهيكل هى نبوءة توراتية وإرادة إلهية لابد من أن تحدث وأن على المسيحيين أن يساعدوا الصهاينة لتهديم المسجد وبناء الهيكل.

وتقرر الكاتبة أن القدس كانت طوال تاريخها عربية، وقد سكنها العرب قبل وصول العبرانيين بعدة قرون، وأن المسلمين حافظوا على القدس منذ القرن السابع حتى اليوم بلا انقطاع، وأن علماء الآثار لم يجدوا أى أثر يشير إلى موقع الهيكل، وأن تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة ينذر بحرب عالمية ثالثة ومجزرة نووية.

وتختم الفصل السابع بقولها: على الرغم من أن المسيح دعا إلى إقامة المعابد فى النفس فإن الأصوليين المسيحيين يصرون على أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحى، إنه يريد معبداً حقيقياً من الأسمنت والحجارة يقام تماماً فى الموقع الذى توجد فيه الصروح الإسلامية!

وتتحدث الكاتبة فى الفصل الثامن حول الجهود المحمومة التى يقوم بها المسيحيون الصهيونيون لمساعدة الإرهابيين الصهاينة على تدمير المقدسات الإسلامية فى القدس، وحول المنظمات التى أنشأوها لجمع التبرعات من الأمريكيين لهذا الغرض. ومنها منظمة (بناء المعبد) ومنظمة «الأغلبية الأخلاقية» و«السفارة المسيحية الدولية».

وتذكر المؤلفة أن منظمة مؤسسة معبد القدس قدمت أموالاً كبيرة للمحامين الذين دافعوا عن (٢٩) إرهابياً صهيونياً حاولوا نسف المسجد الأقصى عام ١٩٨٣م. وأن هذه المنظمة تقدم الدعم المتواصل لمعهد (ميشيفا) اليهودى الذى يعد الكهنة للخدمة فى الهيكل الذى يخططون لإعادة بنائه.

وتلاحظ الكاتبة أن عمليات الهجوم التى تعرض لها الحرم الشريف فى القدس كان يقودها رجال دين يهود مسلحون، وأن أحداً من الحاخامات لم يدن مثل هذه الاعتداءات بينما يعتبر الصهاينة أولئك الذين خططوا لنسف الأقصى أبطالاً وتحكم عليهم السلطات الصهيونية بأحكام خفيفة لا تنفذ، ولهذا فإن أولئك الإرهابيين طلقاء اليوم وبوسعهم أن يعيدوا الكَرَّة.

وفى ختام الفصل الثامن تبدى الكاتبة تخوفها من اللامبالاة التى تسود أوساط الأمريكيين حول هذا الأمر والتى يمكن أن تعرض السلام العالمى للخطر فى أية لحظة يرتكب فيها الصهاينة الخطيئة القاتلة.

الدليل المسيحى الممنوع

يؤم الأرض المحتلة مئات الآلاف من السياح والحجاج المسيحيين كل عام. وما ينفقونه هناك يقدم للكيان الصهيونى (٦) بالمئة من الدخل العام ويوفر العملة الصعبة للاقتصاد الصهيونى.

ويشجع الصهيونيون المسيحيون السياحة إلى فلسطين المحتلة دعماً للكيان الصهيونى، ومن المنظمات النشطة فى هذا المجال منظمة (السفارة المسيحية الدولية).

والصهاينة لا يريدون الاستيلاء على ما فى جيوب السياح والحجاج المسيحيين فحسب، بل يريدون الاستيلاء على عقولهم وقلوبهم أيضاً، ولذلك فإنهم يرتبون لهم لقاءات مع السياسيين والجنرالات، وزيارات للمزارع الصهيونية والمشاريع وساحات المعارك ونصب الموتى. ومع أن البروتوكول الدولى يقضى بالسماح لدليل من الحجاج بمرافقتهم وإرشادهم فإن السلطات الصهيونية لا تسمح بذلك بل تصر على أن يرافق الحجاج دليل صهيونى مرخص له من مكتب السياحة الصهيونى.

وبذلك يتم تهويد العقل المسيحى وترويج الدعاية للعدو الصهيونى وإبعاد المسيحيين الغربيين عن المسيحيين العرب الفلسطينيين.

ويساهم كثير من القساوسة فى هذا البرنامج الذى يحول الحج المسيحى إلى حج يهودى طمعاً فى المال الذى يعود عليهم من هذه الرحلات وطمعاً فيما يقدمه لهم الصهاينة من هبات.

والقسس المعادون للكيان الصهيونى يجرى استقطابهم وكسبهم بمختلف وسائل الإغراء.

وتذكر المؤلفة فى خاتمة الفصل التاسع أن اضطهاد الكيان الصهيونى للنصارى فى فلسطين المحتلة قد أدى إلى هجرة أكثر من مئة ألف مسيحى فلسطينى منذ عام ١٩٦٧م.

البحث عن صهيونية غير يهودية

تتناول الكاتبة فى الفصل العاشر موضوع المؤتمر المسيحى الصهيونى الأول الذى عقد فى بازل فى عام ١٩٨٥ برعاية السفارة المسيحية الدولية وحضره ٥٨٩ شخصاً من الصهاينة المسيحيين من ٢٧ دولة. وقد ركز الخطباء فى ذلك المؤتمر على أن العالم يكره اليهود، وأن اليهود لا يمكن أن يعيشوا آمنين إلا إذا عاشوا فى دولة واحدة وكانوا أقوياء عسكرياً . وقد حث المؤتمر فى توصياته جميع اليهود إلى الهجرة إلى الكيان الصهيونى.

كما حث المؤتمرون العدو الصهيونى على ضم الضفة الغربية، وطالب المؤتمر الولايات المتحدة وجميع دول العالم بالاعتراف بضم القدس ونقل سفاراتها إليها، كما طالب الدول المنتجة للسلاح بوقف تسليح العرب.

وتقول المؤلفة: إن ٩٩ بالمئة من وقت المؤتمر قد خصص للسياسة، وواحداً بالمئة فقط خصص لرسالة المسيح ذلك لأن المؤتمرين كانوا صهاينة أولاً وقبل كل شيء.

وترصد الكاتبة هنا تاريخ الحركة الصهيونية المسيحية فتقول: إنها تعود إلى القرن السادس عشر مصاحبة للحركة الإصلاحية البروتستانتية التى فسرت نصوص الكتاب المقدس تفسيراً حرفياً، وأحيت الاهتمام بالعهد القديم، حتى أصبح المرجع الوحيد لتاريخ المنطقة العربية، وأصبح كل ما فيه حول أرض الميعاد مسلمات عند البروتستانت.

ومنذ بداية القرن السابع عشر وقبل ثلاثة قرون من المؤتمر الصهيونى اليهودى الأول عام ١٨٩٧م دعا البروتستانت جميع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين بدعوى أن المجىء الثانى للمسيح لا يتم إلا إذا عاد اليهود إلى فلسطين. وكان البروتستانت أول من أطلق شعار: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». لقد بدأ المشروع الصهيونى مسيحياً بروتستانتياً، ولم يحصل البروتستانت على تأييد اليهود للمشروع الصهيونى إلا بعد قرن ونصف من الزمان.

وقد لعب البروتستانت الانجليز دوراً أساسياً فى التخطيط لقيام الكيان الصهيونى قبل هرتزل بعشرات السنين، واتخاذ الخطوات العملية لنشوء ذلك الكيان. ففى عام ١٨٤٥م اقترح «إدوارد بتفورد» من مكتب المستعمرات فى لندن «إقامة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت حماية بريطانيا العظمى، على أن ترفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم».

وقال: «إن دولة يهودية ستضعنا فى مركز القيادة فى الشرق بحيث نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا والتصدى لهم عند الحاجة».

فى السادس من النوار «فبراير» ١٩٨٥م ألقى «بنيامين نتنياهو» سفير الكيان الصهيونى فى الأمم المتحدة خطاباً أمام المسيحيين الصهاينة جاء فيه: «لقد كان هناك شوق قديم فى تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل. وهذا الحلم الذى يراودنا منذ ألفى سنة تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين. لقد قدم المسيحيون دعماً طويلاً متواصلاً وناجحاً للصهيونية...».

«وهكذا فإن الذين سيستغربون ما يعتقدون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها من المسيحيين يعكسون جهل الأمرين معاً، إننا نعرف أفضل الروابط الروحانية التى تشدنا بإحكام وبثبات، نعرف الشراكة التاريخية التى أدت دورها بشكل جيد لتحقيق الحلم الصهيونى».

وتقول الكاتبة: «كما حث المسيحيون الصهيونيون الأوائل يهود أوروبا على التوجه إلى فلسطين لمصادرة كل ما يستطيعون مصادرته من الأرض، كذلك فإن المسيحيين الصهيونيين أمثال (فولويل) يحثون اليهود اليوم على أن يذهبوا إلى ما يتعدى فلسطين وأن يطالبوا بكل الأراضى العربية التى تمتد من نهر الفرات فى الشرق حتى النيل فى الغرب».

وحقاً ما قال الحاخام (موشى لفينجر) قائد الإرهابيين الذين حاولوا نسف قبة الصخرة وهو يعرِّف الصهيونية مسيحية أو يهودية؟: «الصهيونية هى الإيمان بالغيب، وتتلاشى الصهيونية إذا فصلتها عن جذورها الإيمانية الغيبية؟، والصهيونية حركة لا تفكر على أساس عقلانى إنما على أساس الأوامر الإلهية. إن ما يهم فقط هو وعد الله لإبراهيم كما هو مسجل فى كتاب سفر التكوين».

إن المرء يتساءل وهو يصل إلى نهاية هذا الفصل: هل كان اليهود أيضاً ضحية المشروع البروتستانتى اللاهوتى والاستعمارى فى نفس الوقت؟

زواج المصالـــح

فى الفصول الأخيرة من الكتاب تحاول الكاتبة الإجابة عن السؤال: لماذا تحالف الصهاينة اليهود مع الأصوليين المسيحيين الجدد؟

لقد شعر اليهود الصهاينة أن الليبراليين المسيحيين فى المجلس الوطنى للكنائس ومجلس الكنائس العالمى قد تخلوا عنهم وبدأوا يتعاطفون مع قضية الشعب الفلسطينى، وينتقدون سياسات الاحتلال الصهيونى. ويؤيدون إقامة دولة فلسطينية. ولهذا أخذ اليهود الصهاينة يوثقون عرى تحالفهم مع الأصوليين المسيحيين المتطرفين الذين يؤيدون

المشروع الصهيونى بلا حدود كبديل عن الليبراليين المسيحيين وحليف قوى يضمن لهم حشد الرأى العام الأمريكى لدعم سياسة التوسع والاحتلال والإرهاب، وإقرار الظلم والعدوان باسم الله والكتاب المقدس وباسم الخلاص الأبدى بعودة المسيح.

لقد تحالف الصهاينة مع اليمين المسيحى الجديد لأن موقفه المؤيد للمشروع الصهيونى مبنى على عقيدة دينية راسخة تعتبر قيام «إسرائيل الكبرى» وضمان تفوقها العسكرى واجباً مقدساً.

والصهيونية العالمية تريد المال، وتريد أن يكون الكونجرس فى يدها، والمسيحيون الصهيونيون يساعدونها على ذلك بالضغط المتواصل على الحكومة الأمريكية وأصحاب القرار السياسى والكونجرس لتقديم المزيد من بلايين الدولارات إلى الكيان الصهيونى فضلاً عما يجمعونه من تبرعات لمصلحة العدو. كما أن المسيحيين الصهيونيين يؤلفون قوة بشرية ومادية قادرة على إيصال مؤيدى الكيان الصهيونى لمقاعد الكونجرس واستبعاد جميع المعارضين أو شرائهم.

والصهيونية تريد المزيد من الأرض، والمسيحيون الصهيونيون يشجعونها على ذلك لأن التأخر فى ضم الأرض يؤخر عودة المسيح ـ حسب زعمهم ـ كما أن هؤلاء يضمنون لها دعم الموقف الرسمى الأمريكى.

والصهيونية تريد فرض سيادتها على القدس وانتزاع الاعتراف الدولى بها كعاصمة أبدية للكيان الصهيونى. ومن أجل ذلك يكدح المسيحيون الصهيونيون فى أمريكا وغيرها لدفع دول العالم للاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الصهيونى بحجة أنها كانت عاصمة داود.

وتؤكد المؤلفة فى خاتمة كتابها أن الطريق الذى يسير فيه التحالف المسيحى الصهيونى واليهودى الصهيونى ينذر بحدوث كارثة نووية تدمر العالم.

وتختتم قائلة: «إن المسيح سلك نهجاً غير عسكرى وإن نهجه لم يكن يستهدف تدمير الممتلكات وإبادة الشعوب من أجل مملكة سياسية مؤقتة على الأرض، إنما جاء المسيح من

أجل تحقيق تقدم وتطور الحياة. جاء برسالة السلام، وعلمنا أنه بالسلام نحصل على الحياة وأننا نحصل عليها بوفرة»

إن هذا الكتاب يكشف عن واحدة من أخطر وأبشع عمليات التلاعب والتزوير الدينى فى تاريخ الإنسانية حيث نجحت الصهيونية المسيحية فى تحويل رسالة المسيح.. رسالة المحبة والسلام إلى دعوة للغضب والحرب والإبادة الشاملة، وفى تغييب الأناجيل التى تدين اليهود وتنذرهم باللعنة والجحيم، وتحويلها إلى رسالة إلهية لدعم المشروع الاستيطانى الصهيونى وخلع الشرعية على التوسع والعدوان. وفى إقناع العقل الغربى أن اليهود الذين حاربوا المسيح والأنبياء هم شعب الله المختار! وأن الله يحدد موقفه من الأمم بحسب موقفها من اليهود!! كما نجحت ـ وللأسف ـ فى إقناع الغرب أن المسلمين الذين يؤمنون بالمسيح هم أعداء النصارى!!

وما قيام الكيان الصهيونى، وما حاق بالشعب الفلسطينى والشعوب العربية من ظلم ومآسى، وما يعانيه العالم اليوم من قلق وتوتر بسبب سياسات العدو الصهيونى الإرهابية والتوسعية إلا ثمرة من ثمار عملية التزوير التى طالت الكتب المقدسة وتفاسيرها.

ولا شك فى أن هذا الكتاب ينطوى على دعوة غير مباشرة للمفكرين والاستراتيجيين العرب لمواجهة عملية التزوير الدينى وعملية صهينة العقل المسيحى التى تشوه المسيحية الحقيقية وتحشد الغرب بإمكاناته الهائلة وراء الكيان الصهيونى الذى يهدد السلام فى العالم.

لقد كسبت الصهيونية الغرب إلى جانبها بما زرعته من سرطانات خبيثة فى بنيته الفكرية. ولابد من النفاذ إلى هذه البنية واختراقها لنزع تلك السرطانات وإعادة الصحة إلى تلك البنية.

ولا ريب أن المسيحيين العرب هم أقدر الناس على مواجهة حملة التزوير التى يقودها المسيحيون الصهيونيون لأنهم أدرى بالكتاب المقدس وتفاسيره.

إن العرب ـ مسلمين ومسيحيين ـ يخوضون معركة مشتركة ضد العدو الصهيونى وضد الصهيونية المسيحية اللذين قامت استراتيجيتهما على تغييب المسيحيين العرب وتصوير الصراع العربى ـ الصهيونى على أنه صراع إسلامى ـ يهودى فقط من أجل

خداع الجماهير المستغفلة فى الغرب. ولذلك لابد من أن يلعب النصارى العرب دورهم على أكمل وجه من أجل إفشال المخطط الصهيونى وتنوير العقل المسيحى الغربى وتحريره من هرطقات المسيحيين الصهيونيين.. والمؤسسات الإسلامية لابد من أن تلعب دورها فى استراتيجية المواجهة والتصحيح بتعزيز الحوار مع الكنيسة بطوائفها المختلفة وتكثيف الحضور العربى فى المؤتمرات والندوات واللقاءات الدينية للحيلولة دون سيطرة الصهيونية المسيحية واليهودية عليها.

والقوى الإسلامية مدعوة لإحسان الخطاب الدينى الموجه للعقل الغربى وتقديم كل أصناف الدعم الأدبى والمادى لكل جهد فى مواجهة افتراءات الصهيونية المسيحية.

وكتاب النبوءة والسياسة يفضح تآمر الصهيونية اليهودية والمسيحية على العقل الغربى وعلى الديانة المسيحية، ويفضح أساليبها الماكرة فى خداع الشعوب وتزوير الحقائق، والدور غير الشريف واللا إنسانى الذى يقوم به بعض أدعياء المسيحية من القساوسة الأمريكيين المتاجرين بالدين فى خدمة المخططات الصهيونية. كما بين الكتاب خطر الدمار الذى يهدد العالم بسبب التحالف بين الكيان الصهيونى والصهيونية المسيحية.

ولذلك لا غرابة فى أن يجمع هذا الكتاب من الأسواق بطريقة خفية يعتقد أن وراءها أصابع عملاء الموساد كما ذكرت مجلة «القومى العربى» فى عددها الحادى والخمسين بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢م.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الكتاب يكشف عن خطر الفكر الدينى ودوره الكبير فى تسيير حركة التاريخ. وإذا كانت الصهيونية اليهودية والمسيحية قد نجحت فى تحقيق بعض أهدافها بالفكر الدينى الباطل المزور، فما أحرى المسلمين بالتمسك بالرؤية القرآنية الحقة المعصومة التى توحد صفوفهم وتحمى وجودهم وتمدهم بطاقة الصمود فى وجه التحديات والنهوض من أجل استعادة دورهم الريادى فى العالم.

وأخيراً فإننا مدينون لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ناشرة الكتاب وللأستاذ محمد السماك مترجمه بالشكر والعرفان لهذه الإضافة القيمة إلى المكتبة العربية.

■■■

الفصل الخامس

نصوص من نبوءات دانيال عن الأمّة الإسلامية

5



أولاً: نص كلام دانيال فى حلم التمثال والحجر:

«أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهى جداً وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف؛ فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال؛ فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.

هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك:

أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا، وسلطاناً وفخراً. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعاً. فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شىء وكالحديد الذى يكسِّر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد؛ فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين. وأصابع القدمين والأصابع بعضها من حديد والبعض من خزف؛ فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصماً.

وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين: فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل، لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرَّف الملك ما سيأتى بعد هذا.

«الحلم حق وتعبيره يقين»[١] (دانيال ٢ : ٣١ ـ ٤٥).

●●

ثانياً: تفسير المسيحيين للنص:

«رأى نبوخذ نصر تمثالا عظيماً بهياً ومنظره هائل مصنوع من أربعة معادن أساسية هى الذهب والفضة والنحاس والحديد «رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف». ثم وفجأة «قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها».

وقد أوضح الله لدانيال النبى ثم لنبوخذ نصر أنه قد رمز فى هذا الحلم وهذه الرؤيا بالمعادن الأربعة لأربع ممالك، إمبراطوريات، ستقوم على الأرض بالتتابع إلى أن يأتى فى أيام الأخيرة ملكوت المسيح. وقد رمز إلى كل إمبراطورية بمعدن خاص يبين جوهرها ويخلع عليها بعض الصفات التى ستكون السمة المعروفة بها.

●●

---

(١) ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ (الفتح ٢٨).

١ - الإمبراطورية الأولى «الرأس من ذهب»، (بابل ٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م):

قال دانيال فى تفسيره لنبوخذ نصر: «أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر، وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعاً. فأنت الرأس من ذهب».

(أ) وكانت عبارة «ملك ملوك» هى لقب مستخدم لكثير من حكام الشرق فقد كشفت النقوش المسمارية، الإسفينية، أنه كان لقباً عاماً «بين الفرس[(١)] وبين أثيوبى إبيسنيا Abyssinia الحديثة وبين البابليين»[(٢)] ويلقب نبوخذ نصر فى سفر حزقيال أيضاً بلقب «ملك الملوك»[(٣)] وقد امتد سلطانه على كل العالم المتحضر فى زمانه وخاصة الأمم التاريخية مثل مصر وفلسطين وآسيا الصغرى. وبهذا المعنى صارت بابل مملكة عالمية، وكانت النموذج الأول والبداية كممثلة لكل القوى العالمية التالية لها.

(ب) وكما يقول دانيال النبى بالروح: إن الله «يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً» وكما يقول موسى النبى أيضاً بالروح: «حين قسم العلى للأمم حين فرق بنى آدم نصب تخوماً لشعوب...» (تث ٣٢: ٨) يؤكد الوحى أيضاً أن الله بحسب إرادته الإلهية وتدبيره الأزلى وعلمه السابق هو الذى أعطى نبوخذ نصر هذا السلطان.

(جـ) وقد وُصف نبوخذ نصر فى هذا الحلم وهذه الرؤيا بـ«الرأس من ذهب» فهو الذى جعل من بابل إمبراطورية عالمية لها مجد وعظمة وسيادة وسلطان. لذا جعله الوحى ليس كالمؤسس لهذه الإمبراطورية فحسب بل صورة على أنه هو نفسه بابل.. وبابل هى نبوخذ نصر فقد كان هو رمزا لها وممثلا لعظمتها كقوله هو: «أليست هذه بابل التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى ولجلال مجدى»؟[(٤)] أو كما وصفه الوحى: «أنت أيها الملك الذى كبرت وتقويت. وعظمتك قد زادت وبلغت إلى عنان السماء وسلطانك إلى أقصى

---

(١) عز ٧: ١٢.

(٢) Lange`s Dan. p.76

(٣) حز ٢٥: ٧.

(٤) دا ٤: ٣٠.

الأرض»[١] كان نبوخذ نصر ملكاً وإمبراطوراً وقائداً عسكرياً ومعمارياً وعبقرياً فذاً، وكان سلطانه سلطانا مباشراً وبلا حدود على كل من خضع لصولجانه.[٢]

(د) وقد رمز الوحى الإلهى لهذا الملك ولمملكته بالذهب الذى يرمز فى الكتاب المقدس إلى العظمة والنقاء والرفعة والسمو[٣]. كما اشتهرت المملكة أيضاً بكثرة ووفرة ما كان فيها من ذهب. يقول المؤرخ اليونانى هيرودوتس الذى زار بابل بعد نبوخذ نصر بحوالى ٩٠ سنة (٤٥٠ ق.م): إنه لم ير ذهبا فى الأرض بمثل هذه الكثرة والوفرة التى رآها فى بابل خاصة فى معابدها وهياكلها ومذابحها وأوانيها ومعداتها، وحكى غيره من المؤرخين عما رأوه من مصنوعات الذهب الخالص.[٤]

(ر) **تواريخ هامة لبابل**[٥]

١ ـ كانت الجذور الدينية لبابل فى محاكمة برج بابل عندما بلبل الله لسانهم.[٦]

٢ ـ وقد بدأت المدينة فى النهوض سنة ١٨٣٠ ق.م.

٣ ـ ثم صارت شهيرة على يد حمورابى (١٧٠٤ ـ ١٦٦٢ ق.م) وقوانيه ذات الشهرة العالمية.

٤ ـ وقد سيطر الأشّوريون على بابل من سنة ٩٠٠ إلى ٧٢٢ ق.م.

٥ ـ وفى سنة ٧٢٢ ق.م تقريباً، ثار مردوخ بلادان ضد الأشوريين.[٧]

٦ ـ وفى سنة ٦٢٦ ق.م وصل إلى الحكم رجل قوى هو نبوبلاسر والد نبوخذ نصر وأسس السلالة التى حكمت وازدهرت فى أيام دانيال النبى.

---

(١) دا ٤: ٢٢.
(٢) The Pulpit Dan. p.7
(٣) أى ٢٣: ١٠؛ ٣١: ٢٤؛ حز ٢٧: ٢٢؛ رؤ ٩: ٧.
(٤) Willmington's p.226 - 227
(٥) W.A. Criswell Vol. 2p.62
(٦) تك: ١١: ٩.
(٧) ٢ مل ٢٠: ١٢؛ اش ٣٩: ١.

٧ ـ وفى سنة ٦٠٥ ق.م. أرسل ابنه وشريكه فى الحكم نبوخذ نصر ليدخل فى معركة مع الجيش المصرى فى موقعة كركميش وبعدها صارت بابل سيدة العالم.

٨ ـ حكم نبوخذ نصر من سنة ٦٠٦ إلى سنة ٥٦٢ ق.م، وكان كما أوضحنا، قائداً ذكياً وعبقرياً وقوياً، وأعظم رجل فى عصره فى العالم الأممى، كان جندياً ورجل دولة ومعمارياً، وقد تزوج بأميرة ميدية (من ميديا) تدعى أميهيا (Amyhia) وبنى لها حدائق بابل المعلقة الشهيرة والتى اعتبرها الإغريق العجيبة السابعة فى العالم القديم.

٩ ـ وقد تعقب نبوخذ نصر الجيش المصرى حتى غرب أورشليم. وكانت زيارته الأولى لأورشليم قصيرة فقد عاد إلى بابل سنة ٦٠٥ ق.م بسبب موت والده نبوبلاسر. وفى هذه السنة حمل دانيال النبى مع بقية السبايا إلى بابل. ومات نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ ق.م.

١٠ ـ وفى سنة ٥٦٢ ق.م. تولى الحكم ابنه «أويل مردوخ»[١] وأطلق الملك يهوياكين ملك يهوذا، وعامله كضيف ملكى أجنبى.

١١ ـ وفى سنة ٥٥٦ ق.م. وصل إلى العرش أحد نبلاء أشور ويدعى نبونيدس، وبعد فترة قصيرة، صار نصف متقاعد ووضع ابنه بيلشاصر كحاكم شريك (ثان) لبابل. وقد حكم بيلشاصر حتى ليلة ١٣ أكتوبر سنة ٥٣٩ ق.م. المصيرية وقتل على أيدى الفرس والماديين الذين أخذوا المدينة فى تلك الليلة.[٢]

وكان ملوك الإمبراطورية البابلية التى أسسها نبوخذ نصر (بابل الجديدة) هم:

نبوخذ نصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م).

أويل مردوخ (٥٦٢ ـ ٥٦٠ ق.م).

نرجيليسر (٥٦٠ ـ ٥٥٦ ق.م).

نبونيدس (٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق.م) وابنه بيلشاصر.

●●

---

(١) ٢٣ ـ ٢ مل ٢٥: ٢٧.

(٢) دا: ٥.

٢ ـ الإمبراطورية الثانية «الصدر والذراعان من فضة» (مادى وفارس ٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م):

«وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك» هذه المملكة، كما أجمع التقليد اليهودى والتقليد المسيحى: هى مملكة «مادى وفارس» المتحدة، والوحى الإلهى فى السفر نفسه يؤكد ذلك إذ يقول لبيلشاصر ابن نبونيدس آخر ملوكها: «قسمت مملكتك أعطيت لمادى وفارس»[(١)] وعندما وصفت فى رؤيا دانيال الثانية بكبش ذى قرنين قال له الملاك: «أما الكبش الذى رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادى وفارس»[(٢)] وهذا ما جاء بتفسير كل من القديس جيروم[(٣)] والقديس هيبوليتوس[(٤)] وما قاله المؤرخ والكاهن اليهودى يوسيفوس.[(٥)]

ويصفها البعض بالمملكة الفارسية نظراً لسيادة الفرس، كما جاء فى سفر الأخبار «إلى أن مَلَكت مملكة فارس»[(٦)] وكما يقول القديس هيبوليتوس»[(٧)] أيضاً.

(أ) وقد رمز لهذه المملكة بالفضة التى تشير فى الكتاب المقدس إلى الغنى والطلب المتواصل للمال «فمن يحب الفضة لا يشبع»[(٨)] وكانت كلمة «فضة» فى كل اللغات السامية هى نفس كلمة «مال» وكانت هذه الإمبراطورية محبة للمال جداً وقد طورت نظاماً واسعاً للضرائب التى كانت تدفع بالفضة، وبسبب هذا النظام الضرائبى جمع ملوك مادى وفارس ذخيرة واسعة من الأموال الفضية. وقد تنبأ دانيال النبى فى رؤياه الثالثة (١١ : ٢) عن أحد ملوك الفرس الذى «سيكون أغناهم» وكان يعنى أحشويرش الذى جمع كل فضة أبيه داريوس وملوك الفرس الآخرين.[(٩)]

---

(١) دا ٥: ٢٨.

(٢) دا ٨: ٢٠.

(٣) Chr - Wordsworth Vol. 6p.7

(٤) Dan. 178

(٥) Antiq.x 10.4

(٦) ٢ أخ ٣٦: ٢٠.

(٧) ANF Vol. p.186

(٨) جا ٥: ١٠.

(٩) W.A. Criswell Vol. 2p.63

(ب) وكانت الإمبراطورية الثانية أقل من الأولى من جهة القوة، قوة الحكام بالنسبة نبوخذ نصر الذى كانت كلمته قانون بينما كان حكام الفرس خاضعين للقانون كما ظهر ذلك فى الأصحاح السادس. ويقول المؤرخ اليونانى هيرودوتس: إنه كان هناك النبلاء وكان هناك حكام الولايات (المرزبانات) والذين كان لديهم استقلال كبير عن القوة الرئيسية.(١)

(جـ) تواريخ هامة لمادى وفارس:

أولاً: (مادى ـ ميديا):

كان شعب ميديا يتكلم لغة إيرانية وقد عاشوا فى القطر الجبلى إلى الجنوب الغربى من بحر الكسبيان Caspian. ويذكر اسمهم فى النقوش المسمارية (الاسفيينه) من زمن الملك شلمنآصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م)(٢)، ويروى هيرودوتس فى تاريخه(٣)، عن أربعة من ملوكهم فيما بين ٥٥٠ و٦٦٩ ق.م، وقد هزم الرابع منهم (استاجس Astages) سنة ٥٥٠ من أحد تابعيه وهو كورش الفارسى الذى أصبح سنة ٥٣٩ ق.م. ملكاً على المملكة المتحدة.

ثانياً: فارس (٥٣٩ ـ ٣٣١ ق.م)

١ ـ أسس كورش العظيم الإمبراطورية الفارسية سنة ٥٥٩ ق.م، وكان إشعياء النبى قد سبق وتنبأ عنه قبل ذلك بحوالى ١٥٠ سنة(٤)، وقد ذكر فى العهد القديم أكثر من ٢٢ مرة.(٥)

٢ ـ وفى سنة ٥٤٦ ق.م. هزم الملك كرويس Croesus ملك ليديا، وكان هذا الرجل يملك ثروة خيالية.

٣ ـ وفى سنة ٥٣٩ ق.م. استولى على مدينة بابل وأعدم بيلشاصر.

---

(١) Ibid

(٢) Interp. By. Vol. 5: 388

(٣) Herodotus I: 96 - 130

(٤) إش ٤٤: ٢٨؛ ٤٥: ١.

(٥) ٢ أخ ٣٦: ٢٠ ـ ٢٣؛ عز ١ ـ ٥؛ دا ١: ٢١؛ ٦: ٢٨؛ ١٠: ١.

٤ ـ وقد سمح الملك كورش للبقية اليهودية أن تعود إلى أورشليم سنة ٥٣٨ ق.م ومات سنة ٥٢٩ ق.م فى معركة وخلفه ابنه قمبيز الثانى (٥٢٩ ـ ٥٢٢ ق.م) والذى غزا مصر ثم انتحر بعد ذلك وبدأت حرب أهلية فى البلاد. وخلفه سميردس (٥٢٢ ق.م) مدة قصيرة جداً.

٥ ـ وجاء بعد قمبيز الثانى داريوس العظيم (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق.م) وأنقذ الإمبراطورية المنهارة وذلك باستعادة القانون والنظام، وهزمه الإغريق فى معركة ماراثون العظيمة سنة ٤٩٠ ق.م.

٦ ـ ثم حكم الإمبراطورية أحشويرش الأول (٤٨٦ ـ ٤٦٤ ق.م) ابن داريوس. وهذا الملك هو المذكور فى سفر أستير، وقد هزمه الإغريق مثل أبيه فى معركة سلاميس سنة ٤٨٠ ق.م.

٧ ـ وحكم أرتحشتا الأول (٤٦٤ ـ ٤٢٣ ق.م) وأثناء حكمه كان نحميا خادماً فى القصر.

٨ ـ وانتهت الإمبراطورية الفارسية على يد الإسكندر الأكبر أثناء الحكم القصير للملك داريوس الثالث (٣٣٥ ـ ٣٣١ ق.م).

●●

٣ ـ الإمبراطورية الثالثة «البطن والفخذان من نحاس»، (اليونان ٣٣١ ـ ٣٢٣ ق.م):

«ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل أرض» هذه المملكة الثالثة أو الإمبراطورية الثالثة مذكورة بالاسم فى سفر دانيال النبى وأنها ستخلف مادى وفارس. «والتيس العافى» الذى هزم الكبش الذى يرمز إلى مادى وفارس «ملك اليونان»[١]، وهذا ما قال به القديس هيبوليتوس[٢]، والقديس جيروم والغالبية العظمى من المفسرين.[٣]

---

(١) دا ٨: ٢١.

(٢) Dan. 178

(٣) Chr. Words. Dan. p.8.

(أ) والنحاس فى الكتاب المقدس يشير إلى الشباب والمقاومة الشديدة، وما هو نحاس فهو حصين وقوى وله قيمة[١]. وقد رمز به إلى مملكة اليونان أو الإمبراطورية اليونانية التى وصف جنودها «بذوات الكساء النحاسى» لكثرة ما كانوا يحملونه من أسلحة نحاسية. ويقول أحد المفسرين: إنه لو قارنا بين جندى من مملكة مادى وفارس وجندى يونانى، نجد أن الأول كان يرتدى على رأسه عمامة ناعمة كغطاء وسترة عسكرية بأكمام وبنطلون ممتلىء وطويل. بينما يرتدى اليونانى على رأسه خوذة من نحاس وعلى جسده صدرة من نحاس وكان يحمل أمامه ترساً من نحاس وسيفاً من نحاس، ولذلك أشار الكتاب القدماء إلى الإغريق بـ«ذوات الكساء النحاسى»[٢]، ومن ثم فقد أصبح النحاس علامة ورمزاً للغزوات اليونانية والإمبراطورية اليونانية الإغريقية. ويضيف القديس جيروم: «بما أن النحاس معدن رائق الصوت فهو يشير إلى فصاحة اليونان التى اشتهروا بها».[٣]

(ب) وقد سادت هذه الإمبراطورية على دول كثيرة فى أوروبا إلى جانب الدول التى كانت تحت السيادة الفارسية فى آسيا وأفريقيا، كما سادت على مناطق كثيرة فى الشرق، وفاقت على بابل وفارس بمراحل كثيرة فى كثرة الغزوات ومساحة الأراضى التى أخضعتها تحت سيادتها، ولذا قيل عنها: إنها «تتسلط على كل الأرض» وقد امتدت هذه الإمبراطورية من الهند والخليج العربى (الفارسى) إلى غرب أوروبا، حتى أصبح الإسكندر الأكبر وخلفاؤه من بعده هم حكام العالم. وقال القديس يوستينوس (١٠٠ - ١٦٧م) إن الإسكندر أمر أن يدعى هو «ملك كل الأرض».[٤]

(جـ) تواريخ هامة لليونان[٥]

١ - كانت الولايات اليونانية مهددة دائماً بالغزو الفارسى فى الفترة من (٥٤٦ - ٤٧٩ ق.م)، وقد انتهى ذلك كله بعد انتصار اليونان على الفرس فى معركتى سلاميس وبلاتويا Platoea . ودخلت اليونان عصرها الذهبى بعد هذه المعركة بفترة قصيرة.

---

(١) N. Treas.. of Scrip. Know. P.954.

(٢) W. A.criswell Vol 2P.64

(٣) الآيات البيّنات ص٦٥ و٦٦.

(٤) السابق ص٦٦.

(٥) Willmington's P.227 - 228

٢ ـ ثم قاد اليونان قائد أثينى ديموقراطى يدعى بركلس Perkles (٤٦١ ـ ٤٢٩ ق.م). وقد صار عدد من الإغريق منذ عهده أشهر من عاشوا على مر التاريخ:

١ ـ هيردوتس أبو التاريخ (٤٨٥ ـ ٤٢٥ ق.م).

٢ ـ هيبوقراط Heppocrates أبو الطب (٤٦٠ ـ ٤٧٠ ق.م).

٣ ـ الفلاسفة: سقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م) وأفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م).

٤ ـ ديموثينيس Demosehenes (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) وهو أحد أعظم مؤلفى خطب التاريخ.

٣ ـ ثم بدأت حرب البلوبونيز (من ٤٥٩ ـ ٤٠٤ ق.م) بين أهم مدن اليونان أثينا وأسبرطة.

٤ ـ وفى سنة ٣٣٨ ق.م. غزا فيليب المقدونى (٣٨٠ ـ ٣٣٦ ق.م) اليونان ثم اغتيل بعد ذلك بسنتين، سنة ٣٣٦ ق.م. وخلفه ابنه الإسكندر المقدونى، الإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م). والذى صار من أشهر وأعظم قواد العالم وغزاته. وكان فى ذلك الوقت فى العشرين من عمره. وبدأ فى الحال تنفيذ وصية والده بغزو فارس.

٥ ـ وفى سنة ٣٣٤ ق.م. عبر من آسيا الصغرى إلى الشرق وهزم الفرس فى معركة جرانيكوس Granicus سنة ٣٣٤ ق.م. ثم فى إيسوس Issus سنة ٣٣٣ ق.م، ودمر صور. واستثنى أورشليم. ورحب به المصريون فى مصر وأسس مدينة الإسكندرية. وسحق الفرس إلى الأبد فى معركة إربيلا سنة ٣٣١ ق.م. وغزا الهند سنة ٣٢٧ ق.م. ثم وضع خططاً لإعادة بناء بابل وإرجاعها لمجدها السابق، ولكنه مات سنة ٣٢٣ ق.م وعمره ٣٢ سنة.

٦ ـ وانقسمت الإمبراطورية بعد الإسكندر بين قواده إلى أربعة أقسام:

(أ) بطليموس وقد حكم مصر وجاءت من سلالته كليوباترا.

(ب) سلوقس الذى حكم سوريا. وجاء من سلالته أنتوخس الرابع أبيفانس.

(جـ) كاسندر الذى حكم اليونان ومقدونيا.

(د) لسيماخوس وقد حكم آسيا الصغرى.

●●

٤ ـ الإمبراطورية الرابعة، الساقان من حديد (روما ٥٨ ق.م ـ ٤٧٦م).

«وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شىء وكالحديد الذى يكسر: تسحق وتكسر كل هؤلاء» ويشير الحديد إلى القوة الصلبة الجبارة التى لا تقهر، وهو يسحق كل ما عداه من معادن أخرى، كما يشير إلى السيادة والتسلط(١). وقد رمز بالحديد هنا إلى المملكة الرومانية لقوتها الشديدة التى سحقت بها كل الإمبراطوريات التى سبقتها. وقد قارن أحد الكتاب القدماء الإمبراطورية الرومانية بإمبراطوريات العالم العظيمة التى سبقتها، وقد برهن على أن الإمبراطورية الرومانية كانت أقوى بكثير وأكثر سيادة من كل الممالك التى سبقتها(٢). فقد سحقت هذه الإمبراطورية بغزواتها الكثيفة فى أوروبا وآسيا وأفريقيا وكسرت كل الأمم التى كانت ماتزال محتفظة بعناصر السلالات الأشورية البابلية والمادية الفارسية واليونانية الماضية.

(أ) وقد عُرفت الجيوش الرومانية بالجيوش الحديدية، واستخدم دانيال النبى كلمة «حديد» فى وصف هذه الإمبراطورية ١٤ مرة. ومن ثم اعتقدت الكنيسة منذ فجرها: بأن هذه الإمبراطورية هى الإمبراطورية الرومانية، وكان هذا هو رأى أقدم الآباء الذين وصلتنا كتاباتهم عن سفر دانيال؛ مثل القديس إيريناؤس فى القرن الثانى الميلادى والقديس هيبوليتوس فى القرن الثالث والقديس جيروم فى القرن الرابع وذهبى الفم فى القرن الرابع أيضاً (٣٤٧ ـ ٤٠٣م)، ويقول أحد المفسرين ويدعى جوزيف ميدى Joseph Mede: «اعتقدت الكنيسة اليهودية قبل زمن مخلّصنا أن الإمبراطورية الرابعة فى سفر

---

(١) دا ٢: ٤٠ مز٢: ٤٩ رؤ ٢: ٤٢٧ ميخا ٤: ١٣؛ عا ١: ٣.

(٢) Chr - Words. Dan. P.8

دانيال هى الإمبراطورية الرومانية، وهذا المعتقد تسلمه تلاميذ الرسل وكل الكنيسة المسيحية لمدة ٣٠٠ سنة».(١)

(ب) ومما يبرهن أيضاً على صحة هذا التفسير، وبالتالى إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال، وعظمة الكتاب المقدس، وأنه كلمة الله: هو أن مملكة المسيا، المسيح المنتظر، بدأت فى أيام هذه الإمبراطورية.(٢)

تواريخ هامة للإمبراطورية الرومانية:

١ ـ التاريخ التقليدى لتأسيس روما هو ٢١ أبريل سنة ٧٥٣ ق.م. ويقول سيسرو Cicero: إن الاسم روما جاء من اسم مؤسسها رومولوس Romulus الذى حكم لمدة ٣٩ سنة. واختفى بصورة غامضة، وقيل: إنه أخذ إلى السماء.

٢ ـ وفى سنة ٣٣٨ ق.م. سيطرت روما مركزيا على إيطاليا، ثم جاءت الحروب البونية. Punic W التاريخية بين روما وقرطاج (٢٦٤ إلى ٢٤١ ق.م) و(٢١٨ ـ ٢٠٢ ق.م) ودمرت قرطاج سنة ١٤٦ ق.م. وفى هذه الحروب ظهر هانيبال الذى أرعب الرومان عندما سيطر بقطيع من الفيلة عبر جبال الألب سنة ٢١٨ ق.م.. وهزم جيشين كبيرين للرومان سنة ٢١٦ ق.م. ثم هزمه القائد الرومانى سيبيو Scipio فى زاما سنة ٢٠٢ ق.م، ومن ذلك الوقت صارت روما سيدة البحر المتوسط. وكانت الحرب الثالثة بينهما من سنة (١٤٩ ـ ١٤٦ ق.م) التى استولى فيها الرومان على مدينة قرطاج وأحرقوها.

٣ ـ وفى سنة ٦٣ ق.م. غزا القائد الرومانى بومبى Pompey فلسطين. ثم تلا ذلك حروب مدنية. ثم جاء يوليوس قيصر وأنقذ الإمبراطورية وأدمجها فى حروب الغال الشهيرة (٥٨ ـ ٥١ ق.م)، ثم اغتيل يوليوس قيصر فى روما فى ١٥ أبريل سنة ٤٤ ق.م..

٤ ـ وتولى السلطة أوكتافيوس (المعروف بأوغسطس قيصر) وهزم بروتس وكاسيوس، من قتلة قيصر، فى فيلبى سنة ٤٢ ق.م. وفى سنة ٣١ ق.م. هزم أوكتافيوس قوات

---

(١) Ibid

(٢) كان يجب عليه أن يقول: بدأت فى أيام هذه الإمبراطورية. فى آخرها؛ لأن عيسى عليه السلام ولد فى بدايتها ومحمد ﷺ هو الذى أزالها.

أنطونيوس وكليوباترا فى أكتيوم، ومن ذلك التاريخ صارت مصر مقاطعة رومانية. ووصلت الإمبراطورية الرومانية ذروة مجدها فى أيام أوكتافيوس، أغسطس قيصر هذا، الذى ولد المسيح[١] فى أيام حكمه، فقد حكم من سنة ٣١ ق.م. إلى سنة ١٤م.

٥ ـ وخلف أوكتافيوس، طيباريوس قيصر (١٤ ـ ٣٧م) وكانت قد دانت له الولايات من سنة ١١م وكانت خدمة يوحنا المعمدان والسيد المسيح فى أيامه.

٦ ـ وخلف طيباريوس، كاليجولا (٣٧ ـ ٤١م) والذى عاصر الجزء الأول من كرازة الرسل وانتشار المسيحية فى ربوع الإمبراطورية، والذى صار مجنوناً لا يرحم، ثم اغتيل سنة ٤١م. وخلفه كلوديوس الذى مات مسموماً على أيدى زوجته سنة ٥٤م، وكانت إرسالية القديس بولس الرسول ورحلاته العظيمة فى أيامه.

٧ ـ ثم جاء نيرون (٥٤ ـ ٦٨م) الذى حكم حكماً عادياً لمدة ثمانى سنوات ثم تحول بعدها إلى حيوان بشع مجنون، وأحرق مدينة روما ونسب هذا الحريق للمسيحيين وقتل بهذه التهمة الباطلة عدداً كبيراً، وفى حكمه استشهد القديس بطرس مصلوباً والقديس بولس بالسيف، ثم انتحر سنة ٦٨م.

٨ ـ وخلفه القائد الرومانى فسبسيان (٦٨ ـ ٧٩م) والذى أمر ابنه تيطس بتدمير أورشليم، فدمرها وأحرقها سنة ٧٠م. وبعد موت والده اعتلى تيطس العرش، وأثناء حكمه دمرت مدينة بومبى Pompii بسبب ثورة بركان فيزوف. وحكم من سنة ٧٩ ـ ٨١م.

٩ ـ وكان لدى الأباطرة الرومان العشرة الذين جاءوا بعد صعود السيد المسيح، ومن جاء بعدهم حتى دقلديانوس، شىء واحد مشترك هو كراهيتهم الشديدة للمسيحية وتحريمهم لها واضطهادهم لقادتها.

١٠ ـ وأخيراً وفى سنة ٢٨٤م جاء إلى عرش روما دقلديانوس آخر الأباطرة الذين اضطهدوا المسيحية، وكان أكثرهم كراهية لها وقسوة على أتباعها. وفصل دقلديانوس

---

(١) لاحظ: قوله: إن عيسى عليه السلام ولد فى أيام أوغسطس.

الإمبراطورية الشرقية عن الغربية وعين مكسيمان ليحكم الإمبراطورية الشرقية. ثم استسلم سنة ٣٠٥م.

١١ ـ وعندما ترك دقلديانوس العرش تنازع عليه ابن مكسيمان وقسطنطين واستمر النزاع إلى سنة ٣١٢م حين هزم قسطنطين مكسيمان خارج المدينة عند برج ملقيان بردج. وفى سنة ٣١٣ أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوم التسامح الدينى الشهير، الذى بمقتضاه جعل المسيحية هى ديانة الدولة. واجتمع فى عهده وتحت إشرافه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

١٢ ـ وبعد وفاة قسطنطين جلس على العرش يوليان الجاحد، أو المرتد، الذى حارب المسيحية بشدة وفشل فى ذلك فشلاً ذريعاً وكانت آخر كلماته التى قالها لحظة وفاته فى المعركة سنة ٣٦٣م: «آه أيها الجليلى، فقد انتصرت أخيراً» وحكم بعده ثيؤدوسيوس العظيم (٣٧٨ ـ ٣٩٥م) والذى دعى ببطل المسيحية، وقد قسم الإمبراطورية ثانية إلى شرقية وغربية.

١٣ ـ وفى السنوات ٤٥٠ ـ ٤٤٥م نهب الفندال وآتيلا الهونى إيطاليا وروما، وكان الهن Hun شعب مغولى رحال سيطر على جزء كبير من أوروبا الوسطى والشرقية بقيادة آتيلا سنة ٤٥٠م.

١٤ ـ وفى سنة ٤٧٦م خَلع من على العرش رمولولوس أغسطولوس آخر إمبراطور رومانى.

●●

ملكوت المسيح:

قال دانيال النبى[١] فى إعلانه لما جاء برؤياه وحلم نبوخذ نصر: «كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعاصفة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار

(١) لاحظ: أن الذى سيزيل الدولة الرومانية يكون هو النبى المنتظر، الملقب بالمسيح، والذى أزالها هو محمد ﷺ.

جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها» وقال فى التفسير: «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً ومُلكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب».

١ - «فى أيام هؤلاء الملوك» يشير كما بينا أعلاه إلى الإمبراطورية الرابعة، الإمبراطورية الرومانية. فالرؤيا فى الأصل لا تتكلم عن أربع ممالك متعاصرة وموجودة معاً فى وقت واحد، وإنما عن أربع إمبراطوريات متتابعة ومتعاقبة، تأتى كل واحدة منها بعد الأخرى، كما أن الرؤيا لا تتكلم أصلا عن ملوك أفراد، وإنما عن امبراطوريات متدرجة من الرأس إلى القدمين، ويأتى ملكوت المسيح، ملكوت الله، فى الأيام الأخيرة منها. وتشير الرؤيا إلى أن الحجر سحق جميع الممالك عندما سحق الأخيرة الممثلة فى القدمين، لأن الإمبراطوريات الثلاث السابقة لم تمح من الوجود وإنما كانت الواحدة منها تتحول إلى ولاية من ولايات الإمبراطورية التى هزمتها وخلفتها، وهكذا صاروا جميعاً تحت لواء وسيادة وسلطان الإمبراطورية الرومانية. ثم انتشر ملكوت المسيح خلالها وداخلها جميعاً.

٢ - ويؤكد الوحى[1] فى الكتاب المقدس أن المسيح يسوع هو هذا «الحجر الذى قطع بغير يدين» وسحق كل هذه الممالك وملأ ملكوته الأرض كلها.

وهذا كان إيمان اليهود قبل المسيح إذ أجمعوا على أن الحجر الذى قطع بدون يدين فى سفر دانيال النبى هو المسيح المنتظر[2]، يقول توماس سكوت Scott: «وقد أجمع اليهود بدون استثناء على أن المقصود بهذا الحجر هنا هو المسيا»، وقال كاندلر[3] Chandler الذى

---

(١) التأكيد باطل وذلك لأن عيسى عليه السلام لم يحارب ولم يفتح بلادا وقال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وولد فى بدء المملكة الرابعة واستمرت من بعده إلى سنة ٦٣٨م وفى هذه السنة أزيلت على يد المسلمين. فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) قولهم عن الحجر: إنه المسيح المنتظر؛ قول صحيح. ولكن المسيح المنتظر هو محمد ﷺ بحسب لسانهم وليس عيسى عليه السلام.

(٣) كلام كاندلر صحيح. ولكن من هو المسيا؟ من هو الذى أتى بعد الإمبراطورية الرومانية؟

أيد رأيه باقتباسات من كتابات كثيرة للربيين اليهود: «اسأل اليهود، ما المقصود بالحجر؟ فيجيبون كرجل واحد: المسيا. أسأل عن التمثال الذى حطمه الحجر على أصابعه، فيقولون بالإجماع: إنها الإمبراطورية الرومانية. اطلب المعنى المقصود بمملكة الجبل، فيتفقون على أنها مملكة المسيا التى ستمتد بنفسها، وتُخضع كل الممالك وتكون مملكة أبدية» أ.هـ.(١)

●●

الرد على اليهود والمسيحيين:

لقد اتفقت الكلمة على أن الذى يزيل المملكة الرابعة ـ وهى مملكة الروم ـ يكون هو النبى المنتظر صاحب ملكوت الله. فهل محمد ﷺ لم يزل مملكة الروم؟ فمن هو هذا الذى أزالها؟

إن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد فى زمان أوغسطس قيصر، وقال: «أعطوا ما لقيصر: لقيصر، وما لله: لله» (مرقس ١٢: ١٧) ولم يحارب الروم، وظلوا من بعده إلى أن ظهر محمد ﷺ وأمر جنوده بالتوجه إلى حرب الروم، وانتهت مملكتهم على أيدى أتباعه فى معركة هرمجدون سنة ٦٣٨م.

●●

ثالثاً: نبوءة ابن الإنسان:

«فى السنة الأولى لبيشاصَّر ملك بابل رأى دانيال حلما ورؤى رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال: كنت أرى فى رؤياى ليلاً وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير. وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك الأول كالأسد وله جناحا نسر. وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه وانتصب عن الأرض وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان. وإذا بحيوان آخر ثان شبيه

---

(١) انتهى بنصه من كتاب إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال ـ طبعة القاهرة ١٩٩٥م. القس عبدالمسيح بسيط أبو الخير ـ كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد ـ القاهرة.

بالدب فارتفع على جنب واحد وفى فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه فقالوا له هكذا: قم كل لحماً كثيراً. وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربع رءوس وأعطى سلطاناً. بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقى برجليه. وكان مخالفاً لكل الحيوانات التى قبله. وله عشرة قرون. كنت متأملاً بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار. كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار. أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت.

كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته مالا ينقرض.

أما أنا دانيال فحرنت روحى فى وسط جسمى وأفزعتنى رؤى رأسى. فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا. فأخبرنى وعرفنى تفسير الأمور. هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة ملوك يقومون على الأرض. أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين. حينئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذى كان مخالفاً لكلها وهائلاً جداً وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق وداس الباقى برجليه وعن القرون العشرة التى برأسه وعن الآخر الذى طلع فسقطت قدامه ثلاثة وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه. وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم حتى جاء القديم الأيام وأعطى الدين لقديسى العلى وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة.

فقال هكذا: أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك. ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان. فيجلس الدين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى. ملكوته ملكوت أبدى وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون. إلى هنا نهاية الأمر» (دانيال ٧: ١ ـ ٢٨).

●●

رابعاً: كلام المفسرين فى المملكة الرابعة:

«إن الإمبراطورية الرومانية سادت وابتلعت كل ما كان للإمبراطورية اليونانية. ويقول القديس كيرلس الأورشليمى عن المملكة الرابعة: إنها المملكة الرومانية».[١]

●●

خامساً: نص كلام دانيال عن الحرب بين المسلمين وبين اليهود:

جاء فى الأصحاح الثامن أن حربا ستحدث بعد معركة هَرْمَجَدُّون. وقد اختلف العلماء فى سنة هذه الحرب. ثم قالوا: وبعد انتهاء آثار هذه الحرب بمدة هى ألف ومائتان وتسعون سنة؛ تحدث حرب أخرى. وما يحدث الآن فى هذا الزمان سنة ١٩٦٧م بين المسلمين وبين اليهود؛ لا صلة له ألبتة بمعركة هرمجدون. لأن هرمجدون قد حدثت فى سنة ٦٣٨م.

وهذا هو النص على حرب هذا الزمان حرب سنة ١٩٦٧م:

«فى السنة الثالثة من ملك بيلشاصّر الملك ظهرت لى أنا دانيال رؤيا بعد التى ظهرت لى فى الابتداء. فرأيت فى الرؤيا وكان فى رؤياى وأنا فى شوشن القصر الذى فى ولاية

---

(١) ص٩٨ ـ ٩٩ إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال.

عيلام. ورأيت فى الرؤيا وأنا عند نهر أولاى. فرفعت عينى ورأيت وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد أعلى من الآخر والأعلى طالع أخيراً. رأيت الكبش ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم. وبينما كنت متأملاً إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض ولم يمس الأرض وللتيس قرن معتبر بين عينيه وجاء إلى الكبش صاحب القرنين الذى رأيته واقفاً عند النهر وركض إليه بشدة قوته ورأيته قد وصل إلى جانب الكبش فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه فلم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه وطرحه على الأرض وداسه ولم يكن للكبش منقذ من يده. فتعظم تيس المعز جداً. ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع عوضاً عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع. ومن واحد منها خرج قرن صغير وعظم جداً نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو فخر الأراضى وتعظم حتى إلى جند السموات وطرح بعضاً من الجند والنجوم إلى الأرض وداسهم. وحتى إلى رئيس الجند تعظم وبه أبطلت المحرقة الدائمة وهدم مسكن مقدسه. وجعل جنداً على المحرقة الدائمة بالمعصية. فطرح الحق على الأرض وفعل ونجح. فسمعت قدوساً واحداً يتكلم فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب لبذل القدس والجند مدوسين؟ فقال لى: إلى ألفين وثلثمائة صباح ومساء. فيتبرأ القدس» (دانيال ٨: ١ ـ ١٤).

●●

سادساً: تفسير المسيحيين للنص:

«وقد حاول الأدفنتست[١]. اعتبار هذه المدة = ٢٣٠٠ سنة على أساس أن اليوم فى النبوة يساوى سنة وحسبوا المدة من سنة ٤٥٧ ق.م سنة صدور أمر أرتحششتا بإعادة بناء وتجديد أورشليم، ووصلوا بها إلى سنة ١٨٤٣ أو ١٨٤٤م، وقالوا: إن المسيح سوف يأتى فى هذه السنة (١٨٤٣ + ٤٥٧ = ٢٣٠٠ سنة).

---

(١) شهادة الأجيال لصدق نبوات دانيال ص٨٧؛ The New Trea. Scrip. Know. P..955

وحسب كاتب كتاب (دانيال وحرية الشعوب)[1]. هذه المدة من سنة ٥٢٨ ق.م. السنة التى أوقف فيها الملك الفارسى قمبيز بن كورش العمل فى إعادة بناء الهيكل ووصل بها إلى سنة ١٧٧٢م (٢٣٠٠ ـ ٥٢٨ = ١٧٧٢م)، حيث انتصر الروس على الترك وفى سنة ١٧٧٤م عقدت معاهدة بين الروس والترك تم الاتفاق بمقتضاها على حماية الروس للكنائس فى بلاد الشرق. وقد رفضت الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر هذه الحماية معتمدة على حماية الله وحده.

وحسب البعض الآخر[2]. هذه المدة من سنة ٣٣٣ ق.م. (عصر الإسكندر الأكبر) ووصلوا بنهايتها إلى سنة ١٩٦٧م كبداية لازدهار الكنيسة. أ.هـ.

●●

نهاية أمَّة بنى إسرائيل

سابعاً: نص دانيال على انتهاء مملكة اليهود فى فلسطين فى يوم الرب. ساعة هرمجدون:

«فى السنة الأولى لداريوس بن أحشويروش من نسل الماديين الذى ملك على مملكة الكلدانيين فى السنة الأولى من ملكه. أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب إلى إرمياء النبى لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم. فوجهت وجهى إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات، بالصوم والمسح والرماد. وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت: أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه. أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك. وما سمعنا من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وكل شعب الأرض. لك يا سيد البر. أما لنا فخزى الوجوه كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسكان أورشليم ولكل إسرائيل القريبين والبعيدين فى كل الأراضى التى طردتهم إليها من أجل خيانتهم التى خانوك إياها. يا سيد لنا خزى الوجوه لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا أخطأنا إليك. للرب إلهنا المراحم

---

(١) تفسير سفر دانيال وحرية الشعوب ط١٩٣٢ ص٧٥، ٧٦.

(٢) دانيال النبى صديق الملائكة ـ القمص بيشوى كامل ص٥٧.

والمغفـرة لأننا تمردنا عليه. ومـا سمعنا صـوت الرب إلهنا لنسلك فـى شـرائعه التى جـعلها أمـامنا عن يد عـبيده الأنبيـاء. وكل إسـرائيل قد تعـدى على شـريعتك وحـادوا لئـلا يسـمعـوا صـوتك فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى شـريعة مـوسى، عبدالله لأننا أخطأنا إليه. وقد أقام كلماته التى تكلم بها علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا لنا ليجلب علينا شراً عظيماً ما لم يجر تحت السمـوات كلها كما أجرى على أورشليم. كما كتب فى شـريعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ولـم نتضرع إلى وجه الرب إلهنـا لنرجع من آثامنا، ونفطن بحقك. فسهر الرب على الشـر، وجلبـه علينا؛ لأن الـرب إلهنا بار فى كل أعـمـالـه التى عـملهـا إذ لم نسـمع صوته. والآن أيها السيد إلهنا الذى أخرجت شعبك من أرض مصر بيد قوية وجعلت لنفسك اسمـاً كما هو هذا اليوم قد أخطأنا عملنا شـراً. يا سيد حسب كل رحمتك اصـرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عاراً عنـد جميع الذيـن حولنا. فاسـمع الآن يا إلهنا صـلاة عبدك وتـضرعاته وأضىء بـوجهك على مـقدسك الخـرب من أجل السيـد. أمل أذنك يا إلهى واسـمع. افتـح عينيك وانظر خـربنا والمدينة التى دُعى اسـمك عليـهـا لأنـه لا لأجل برنا نطرح تـضـرعـاتنا أمـام وجـهك بل لأجل مـراحمـك العظيـمـة. يـا سـيد اسمع يا سـيـد اغفـر يـا سـيد اصغ واصنع. لا تـؤخـر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك.

وبينما أنا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى إسـرائيل وأطرح تضرعى أمام الـرب إلهى عن جبل قـدس إلهى وأنـا مـتكلم بـعد بالصلاة إذا بـالرجل جبـرائيل الذى رأيتـه فى الـرؤيا فى الابتـداء مطاراً واغفـاً لمسنى عند وقت تـقدمـه المسـاء. وفـهـمنى وتكلم مـعى وقـال: يا دانيـال إنى خـرجت الآن لأعلمـك الفـهم. فى ابتـداء تضـرعـاتك خـرج الأمـر وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب. فتأمل الكلام وافهم الرؤيا. سبعون أسبوعاً قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقـدسة لتكميل المعصية وتتميـم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولخـتم الرؤيا والنبـوة ولمسح قـدوس القـدوسـين. فـاعلم وافـهم أنه من خـروج الأمـر لتـجديد أورشليم وبنائهـا إلى المسـيح الرئيس سـبـعـة أسابيع واثنان وسـتون أسبـوعـاً يعود ويبنى سوقا وخليجـا فى ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبـوعاً يقطع المسيح وليس له. وشعب رئيس آت يخـرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمـارة وإلى النهاية حرب وخـرب قضى

بها. ويثبت عهداً مع كثيرين فى أسبوع واحد وفى وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب» (دانيال ٩).

لاحــظ:

(أ) سبعون أسبوعاً = ٤٩٠ سنة

(ب) سبعة أسابيع = ٤٩ سنة

(جـ) اثنان وستون أسبوعاً = ٤٣٤ سنة

والأسبوع سبع سنوات. ثم يختلفون هل السنة قمرية أم شمسية؟

(د) وفى سفر العَدَد:

«وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم فى القفر؛ كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً. للسنة: يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة، فتعرفون افتقادى» (عدد ١٤: ٢٣ ـ ٢٤).

●●

ثانياً: تفسير المسيحيين للنص:

«وقد حسب بعضهم المدة بالسنة القمرية التى تتكون من ٣٤٥ يوما، بدون إضافة أى شهور كبيسة، مقتديا بأسلوب يوليانوس أفريكانوس والآباء الذين اتبعوه. وحسبها البعض الآخر بحساب السنة الكلدانية المكونة من ٣٦٦ يوماً، وبالتالى يصل بالمدة إلى ٤٨٣ سنة. وحسبها غيرهم بحساب السنة الشمسية المكونة من ٣٦٥ يوما. وحسبها غيرهم بحساب روحى يعتمد بالدرجة الأولى على إتمام مدة الـ٤٩٠ سنة من صدور الأمر إلى صلب المسيح، مقتدياً بالعلامة هيبولتيوس وغيره من آباء الكنيسة الأولى.[١]

---

(١) وهناك من حسب المدة بأسلوب الفترات اليوبيلية ٥٠٠ سنة لكل فترة من سبعة أسابيع. وهناك من حسبها بأسلوب التوازى، أى بعدها دون تتابع، وكأنها جميعها تبدأ من نقطة واحدة وزمن واحد. أو بإدخال فواصل زمنية بين كل فترة وأخرى، خاصة ما بين الأسابيع الـ٦٢ والأسبوع الـ٧٠. أو بتغيير أماكن الأسابيع، فى ترتيب معكوس. تأتى فيه الأسابيع الـ٦٢ أولاً ثم تأتى السبعة الأسابيع بعد ذلك، مثلما فعل ترتليان وثيؤدوريت وغيرهما. أو باعتبار الأسبوع الأخير، السبعين، كفترة يوبيلية مكونة من ٤٩ سنة، كما فعل يوسابيوس وبوليكرنيوس وغيرهم See Lange's P.208 - 209

وينقل مونتجمرى عن كثيرين من علماء اليهود فى العصور الوسطى آراءهم فى تفسير هذه النبوءة. ويقول: إن التفسير اليهودى التالى اتبع الرأى التقليدى فى اعتبار أن نقطة النهاية فى النبوءة هى دمار أورشليم بواسطة تيطس أوهادريان. وهكذا يقول راشى وابن عزرا وغيرهم.

وينقل عن ابن عزرا قوله: إن الأسبوع الأول بدأ فى السنة العشرين للملك ارتحششتا...».[١]

٦ ـ ويقول أيضاً: إنه «بحسب Sanh., 97a قسمت الأسابيع إلى سبعة أجزاء. كان يجب أن يأتى المسيا فى نهايتها».[٢]

وينقل عن Shottgen بعض الأمثلة لتفاسير اليهود لهذه النبوءة، منها قول الربى Nachmanides : «قدوس القدوسين ليس سوى المسيا».[٣]

وينقل عن الربى موسى هادرشان Haddarshan قوله: «البر الأبدى، هو الملك المسيا»[٤] وهذا نفس ما ينقله جيروم عن يهود عصره.[٥]

●●

الرد عليهم:

لقد دل كلامهم على أن «المسيا» يظهر فى نهاية السبعين أسبوعاً. وكلامهم صحيح. وذلك لقول دانيال: إنه بعد السبعين أسبوعاً يؤتى بالبر الأبدى. وهو المسيا قدوس القدوسين. ومعنى القدوس فى اللغة العبرانية: هو الذى لا يتغير. فيكون معنى قدوس القدوسين: أنه خاتم الأنبياء، ولن تتغير شريعته إلى يوم القيامة.

---

(١) Ibid.
(٢) Ibid.
(٣) Lange's 206.
(٤) Ibid.
(٥) Ibid.

ودل كلام المسيحيين على أن «المسيا» هو عيسى عليه السلام وهذا باطل. لأن رؤيا التمثال ورؤيا الحيوانات تحدد زمن ظهور المسيا بنهاية المملكة الرومانية. وهى المملكة المعدودة مع بابل وفارس واليونان. فقولهم بنهاية الأسابيع السبعين فى بدء أيام عيسى عليه السلام وصلبه هو قول باطل؛ لأنه وُلد فى بدء المملكة الرومانية ـ وهى الرابعة ـ وظلت قائمة إلى أن أزالها المسلمون أتباع محمد ﷺ.

هذا هو الرد الأول.

●●

والرد الثانى:

لم يقل عيسى عليه السلام إنه «ابن الإنسان» صاحب ملكوت الله، أو ملكوت السموات الذى أنبأ دانيال عن تأسيسه فى الأرض بعد مملكة الروم. وإنما قال: يا بنى إسرائيل توبوا: لأنه قد اقترب ملكوت السموات (متى ٤: ١٧) وضرب الأمثال لإيضاح حقيقة هذا الملكوت. ومن هذه الأمثال: مثل ورد ذكره فى القرآن الكريم: وهو «مثل حبة الخردل» ونصه: «وقال: بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة خردل متى زُرعت فى الأرض؟: فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض، ولكن متى زُرعت؟: تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع أغصانا كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» (مرقس ٤: ٣٠ ـ ٣٢).

وفى حديث عيسى عليه السلام عن هَرْمَجَدُّون التى ستخرب بعدها أورشليم، وسيهدم هيكل سليمان؛ أمثلة لملكوت السموات؛ تبين أن الملكوت لغيره.

●●

والـــرد الثالــث:

هو أن أوصاف «المسيا» فى هذه النبوءة هى أوصاف محمد ﷺ التى ذكرها عنه ١ ـ كتّاب أسفار الأنبياء ٢ ـ وكتاب الأناجيل.

وبيـــان ذلـك:

١ ـ فى أسفار الأنبياء:

أولاً: نبوءة العبد المتألم (إشعياء ٥٢).

قوله «ولكفارة الإثم».[1]

مقتبس من إشعياء ٥٣: ١٠ «أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم: يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح».

قوله «وليؤتى بالبر الأبدى».

مقتبس من إشعياء ٥٣: ١١ «من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها».

قوله «يُقطع المسيح».

مقتبس من إشعياء ٥٣: ٨ «من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء. أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى».

قوله: «فى أسبوع واحد».

مقتبس من إشعياء ٥٣: ١١ «من تعب نفسه يرى ويشبع...».

ثانياً: المزمور ٤٥

قوله: «قدوس القدوسين» مقتبس من مزمور ٤٥: ٧ «أحببت البر، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك».

ثالثاً: إشعياء ٥٥

قوله: «المسيح الرئيس».

مقتبس من إشعياء ٥٥: ٤ «هو ذا قد جعلته شارعاً للشعوب رئيساً، وموصيا للشعوب».

---

(١) نبوءة العبد المتألم شرحناها فى أكثر من كتاب.

رابعاً: إشعياء ٨.

قوله: «بغمارة».

مقتبس من إشعياء ٨: ٧ «لذلك هو ذا السيد يُصعد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة...».

خامساً: إشعياء ٤٢

قوله: «يثبت عهدا».

مقتبس من إشعياء ٤٢: ٦ «أنا الرب قد دعوتك بالبر. فأمسك بيدك، وأحفظك. وأجعلك عهدا للشعب، ونورا للأمم».

سادساً: إشعياء ١٠.

قوله: «على المخرب» مقتبس من إشعياء ١٠: ٢٢ «لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر؛ ترجع بقية منه. قد قضى بفناء فائض بالعدل».

٢ـ في الأناجيل:

قوله: «وليس له».

مقتبس من نبوءة البيراقليط يوحنا ١٤: ٣٠ «لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً؛ لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء».

قوله: «وشعب رئيس آتٍ».

مقتبس من أمثلة ملكوت السموات. متى ٢٢: ٧ «فلما سمع الملك؛ غضب، وأرسل جنوده، وأهلك أولئك القاتلين، وأحرق مدينتهم».

قوله: «يخرب المدينة».

مقتبس من نبوءة خراب أورشليم على يد ابن الإنسان صاحب ملكوت الله (لوقا ١٩: ٤٤).

«ويهدمونك وبنيك فيك».

قوله: «والقدس».

مقتبس من متى ٢٤: ٢ «الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر: لا يُنقض».

قوله: «وانتهاؤه».

مقتبس من النبوءة السابقة فى متى ٢٤: ٦ و١٤ «ولكن ليس المنتهى بعد».

●●

وعند هذا الحد من الكلام؛ تتوقف. ونسأل الله التوفيق والسداد، والموت على الإيمان. وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم. مع تحيات/ علاء أحمد حجازى السقا. وكان الفراغ من تأليفه وإعداده للطبع فى الخامس عشر من شهر رجب سنة ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرين من الهجرة المباركة.






al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفهرس